الجمهوريـــــــة الجزائريـــــــــة الديمقراطيـــــة الشعبيـــــــة

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

كلية الآداب و اللغات الأجنبية

قسم الفنون

تخصص:دراسات في الفنون التشكيلية

مذكرة (التخرج) لنيل شهادة ماستر في الفنون

الموسومة:

الزخرفة الإسلامية في المساجد

(الجامع الكبير بتلمسان نموذجا)

من إعداد الطالبة:

* فراجي خدة

تحت إشراف الأستاذ:

*د.أوراغي أحمد

أعضاء اللجنة

أ.ساسي عبد الحفيظ	أستاذ مساعد	جامعة تلمسان	رئيسا
د.أوراغي أحمد	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان	مشرفا
أ.لصهب عبد القادر	أستاذ مساعد	جامعة تلمسان	مناقشا

السنة الدراسية:2014م/2015م

TAS_F40_01/01

جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان
مكتبة كلية الآداب و اللغات
كلية الآداب و اللغات

سجل تحت رقم FAC.L.T
بتاريخ 2015
الرقم 02954

*قال الله تعالى:"يرفع الله الذين أمنوا والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير"

سورة المجادلة(11)

*"اللهم افتح علينا أبواب رحمتك يا ارحم الراحمين"

*"اللهم ارزقنا علما واسعا وشفاء من كل داء و سقم برحمتك يا ارحم الراحمين".

*" اللهم علمني ما ينفع وينفعني يا ارحم الراحمين".

*"اللهم إني أسألك علما نافعا وعملا متقبلا ورزقا طيبا يا ارحم الراحمين"

الإهداء

اهدي خالص عملي

*الى الله سبحانه وتعالى

*والى اللذين قال فيهما الله: "وبالوالدين احسانا"

*الى اغلى ما وهبني الله الى رفيقة افراحي واحزاني ،الى من حملتني وهنا على وهن، الى القلب الذي برحمته رعاني والوجه الذي يبتسم اذا راني، الى النبع الذي من فيض الحنان سقاني،الى التي بدعوتها احاطتني وبمساعدتها شجعتني ،الى اغلى لؤلؤة املكها في هذا الوجود ،امي التي احبها بلا حدود. والى امي" سكينة «حفظها الله واطال في عمرها.

*الى رمز العطاء والحنان والثقة ،الى الذي زرع لي بذور الامل حين الوهن وعلمني الصبر عند المحن ،الى الشاطئ الرحب الذي اعطى دون حساب الى الذي سأظل عاجزة عن رد جميله، الى الشمعة التي انارت طريقي وكان امله توفيقي ،الى الجوهرة الصامتة "ابي العزيز" رحمه الله واسكنه فسيح جنانه.

*الى الجدة العزيزة والغالية "فاطمة" والى الشموع التي تنير حياتي اخوتي واخواتي وخاصة الى بسمة املي اختي "صفية" والى كتكوتتي"نصيرة"و الكتكوت "محمد " والى كل عائلتي كبيرا وصغيرا.

*والى دليلي وسندي في هذا العمل اختي سليمة خلخال ، وسكة طريقي اختي فلاحي زينب ،واختي بولنوار حفيظة،والى الغاليات على قلبي امهاتي:"فاطمة"،مولدية"،"يمينة".

*الى من كان رفيق دربي وقمرا يضئ ليلي "عريف خير الدين" والى كل صديقاتي بالاقامة الجامعية واخص بالذكر وزميلتي "بوقنينة جميلة" رحمها الله ،والى كل من ذكرهم قلبي و نسيهم قلمي.

*والى كل طلبة قسم الفنون بالقطب الجامعي تلمسان دفعة 2014م-2015م

كلمة شكر

(من لا يشكر الله لا يشكر الناس)

أولا نشكر الله عز وجل الذي منحنا العقل وألهمنا الصبر ومكننا من تخطي الصعوبات لإتمام هذا العمل على أحسن حال "اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد أن رضيت و لك الحمد بعد الرضا "فالحمد لله الذي أنار لي درب العلم والمعرفة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من قدم لي العون والمساعدة على انجاز هذا العمل وأخص بالذكر الأستاذ المساعد "الأستاذ اوراغي"والأستاذ مساعد المشرف "أستاذ لصهب"واشكره جزيل الشكر على كل المساعدة والتسهيلات و التوجيهات والنصائح التي كانت لي عونا في إتمام هذا البحث.

والى كل الأساتذة عبر أطوار الدراسة والى كل الزملاء والأصدقاء والى من أمدني منهم بعبارة أو بكتاب أو دلني عليه.

كما أقدم أية العرفان والجميل وحب لا يموت إلى كل من قيل في حقه "من علمني حرفا صرت له عبدا"

المقدمة

المقدمة :

المقدمة:

تُعْتَبَرُ الفنون بصفة عامَّة مظهرًا مهمًّا من مظاهر الثقافة السائدة في المجتمع، وبصفة خاصَّة فإن الفنَّ الإسلامي يُعَدُّ من أنقى وأدقِّ صور التعبير عن الحضارة الإسلامية، بل مرآة ناصعة للحضارة الإنسانية حيث يُعْتَبَرُ الفنُّ الإسلامي من أعظم الفنون التي أنتجتها حضارات العالم في القديم والحديث، وهو مع ذلك لم يَلْقَ من الدراسة والتحليل والشرح ما هو جدير به، بل إن كثيرًا من الذين كتبوا عنه لم تكن كتاباتهم قائمة بالفعل على المعايير الفكرية والثقافية التي قام عليها الفنُّ الإسلامي، وإنما على معايير أخرى غربيَّة .

كما لها دور كبير في تاريخ الشعوب وذلك بان يقف عنده المؤرخ الاسلامي ويعطيه ما هو جدير به من عناية لأن الفنون ما هي الا انتاج انساني خالص، يصور روح الشعب واحساسه ومشاعره وذوقه ومستواه الثقافي والاقتصادي في احيان كثيرة، وسواء كان الفنان مبدعا موهوبا يبتكر اسلوبا جديدا في التعبير الفني او كان صانعا يحافظ بعمله على تقليد فن متوارث نابع من طبيعة الشعب الذي ينتسب اليه، فلا بد له من الاخلاص والاتقان في كل اصنافه. لان الفن في صميمه يقوم على الصدق والاخلاص مثلما يقوم على الاتقان

وهناك صور وأنواع متعدِّدَة لهذه الفنون التي اصطبغت بالطابع الإسلامي، وميَّزَتِ الحضارة الإسلامية عن غيرها، فمنها فن العمارة، وفن الزخرفة، وفن الخط العربي. ومن بينها فن العمارة الذي كان قائم كباقي الفنون الأخرى في كل البلدان، الا انها تتنوع بتنوع المناخ في كل بلد وبتنوع الحياة الاجتماعية والمعتقدات الدينية.

وبالطبع فان المأوى الذي يعطي الانسان الشعور بالأمان والاستقرار كان من اهم الأمور التي شغلته، فتكون البداية بلجوء الانسان للكهوف ليصبح الان ذلك الفن والدراسة المستقلة التي وفرت للإنسان ما يحتاجه، ليظهر ذلك الفن الجميل وهوفن العمارة الإسلامية.

وللعمارة الإسلامية شخصيتها وطابعها الخاصُّ المميِّز، والذي تتبيَّنُه العينُ مباشرة، سواءٌ أكان ذلك نتيجة للتصميم الإجمالي، أم العناصر المعمارية المميِّزة، أم الزخارف المستعمَلَة فيها.

المقدمة :

لذا نجد ان العمارة الإسلامية تختلف في مظاهرها عن بقية العمارة في الأمم الأخرى، وقد نبغ المهندس المسلم في أعمال الهندسة المعمارية؛ حيث وضع الرسوم والتفصيلات الدقيقة والنماذج المجسّمة الرائعة اللازمة لتنفيذها فنرى تلك الابداعات ماثلة امام اعيننا تزهو بجمالها وانواعها وزخرفتها فيظهر ذلك الفن بسمات مميزة لكل عصر ولكل نوع من أنواع العمارة فنرى المباني المختلفة بتصميمها وفقا لما صممت من اجله فنجد المنزل يختلف بتصميمه عن المسجد أو المستشفى أو البنك.

وبما ان المسجد هو ذلك المكان المهم جدا لكل مسلم فانه كان من اكثر الأمور التي اهتم بها المسلمون وركز على الأصول الى العمران اللائق لبيت عبادة المسلمين ،فالصحن والمحراب والمآذن المزخرفة هي علامات ثابتة ومن اهم العناصر المعمارية التي تعطي للمسجد شخصيته المتميزة فكانت فكرة إقامة المساجد هي في الأساس المولد لفن العمارة الإسلامية اما الزخارف والنقوش فنشأت بعدئذ مثل تزيين النوافذ وتحميل السقوف بأشكال هندسية او نباتية جميلة بعيدة عن تصوير الشخوص واستعمل المسلمون الكتابة كوسيلة حتى يستطيعوا التفنن في أنواع الزخرفة الإسلامية.

فقد كانت الزخرفة الإسلامية خير معبر عن تلك الفنون التي امتاز بها المسلمون منذ القدم، وقد كانت العنوان الأول والبوابة الواسعة للفن المعماري الإسلامي والحضارة الإسلامية الممتدة منذ تلك الحقب حتى وقتنا الراهن، وقد اتقن اهل تقنية الزخارف الإسلامية صنعة النحت المسطح والغائر سواء كان ذلك على الخشب او الرخام او الحجر وكانت مهاراتهم عالية في استخدام المواد الملونة ودقة النقوش كما تعد العناصر النباتية وكذلك الهندسية من اساسيات بناء هذا الفن فتارة تتعاون مع بعضها وأخرى يكون كل عنصر منفصل عن الاخر.

فمثلا في المساجد وبالأخص في الجامع الكبير الذي يعد من اهم المساجد بتلمسان مدينة العلم والمعرفة والتاريخ ولها فن معماري إسلامي مما يتأمل فنون عريقة بالمدينة ،ولابد لهذا الزخم السياسي والاجتماعي والثقافي وخاصة الفني الذي صاحب تلك الدول في الحضارة العربية الإسلامية الذي يترك بصماته على هذه المدينة العظيمة التي كانت نقطة تقاطع لكل تفاعل فني خلاق ،ومن بين النازحين الى تلمسان من مهندسين وخبراء في فن المعمار ،وما

المقدمة :

يقتضيه هذا الفن من زخارف ومنمنمات صارت من اهم الخصوصيات الفنية لمدينة تلمسان بعد ان برز فيها اصل هذا الفن وتطورت تقنياته على مر الأصول فلا غرابة اذن ان تقاطع فن الزخرفة الإسلامية في فن معمار تلمسان مع مدن مغاربية عظيمة ولا سيما فيما يتعلق بدور العبادة(المساجد).

فالزخرفة الإسلامية في هذا المسجد الذي يعد من اهم المساجد بكل أنواعها من كتابية وخطية وهندسية أدت وهو انها تحفة فنية رائعة أدخلت عليه تعبيرات هامة وأضافت اليه زينة كونها تستهدف الجمال بحد ذاته.

وبهذا احتلت مكانة بارزة في عمارة الجامع الكبير ودفعتها الى الارتقاء بقيم إبداعية وراقية فأهل المنطقة يتباهون بهندسته وزخارفه.

مما يطرح سؤال جوهري يدور مضمونه حول ماهية الزخرفة الإسلامية المساجد؟ وما هو الدور الذي ادته في المسجد الكبيربتلمسان؟

وهدفنا من الدراسة هو التعرف والاطلاع على الزخرفة الإسلامية وما اعطت من قيمة جمالية وفنية وزينة في فن العمارة (المساجد).

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي التحليلي لوصف المسجد الكبير وما يوجد به من زخارف، والمنهج التاريخي للإدلاء بالمعلومات وجمع الحقائق التاريخية للمعلم الاثري وهو الجامع الكبير بتلمسان وزخرفته.

والسبب الأساسي الذي دفعنا لاختيار هذا الموضوع هو ما قرأناه عن الفنون الإسلامية وخاصة الزخرفة الإسلامية بالجامع الكبير تلمسان ومكانته في الحضارة التي تعاقبت عبر الأزمنة فمن الضروري الوقوف عند هذا التراث العريق.

ومن مجمل الصعوبات التي واجهتنا ووقفت عائقا بيننا وبين مسيرة بحثنا هذا هي: قلة الكتب في المكتبات الجامعية وان وجدت كانت هناك صعوبة للوصول اليها، كما ان هناك عرقلة في اعارة الكتب ولهذا اكتفينا بالشيء القليل الذي استطعنا ان نصل اليه بعد مشقة التنقل والسفر بالإضافة الى ذلك ضيق الوقت.

المقدمة :

وبعد تطرقنا في هذه المقدمة الى شرح وتصور طبيعة الموضوع ورسم معالمه بقي لنا ان نقدم لنا كيفية هذه الدراسة بدءا بالمدخل الذي يتناول: الفن الإسلامي وعلاقته بالحضارات الأخرى، ثم الفصل الأول الذي خصصناه للزخرفة الإسلامية في المساجد ويتضمن تمهيد وستة مباحث وخلاصة فصل، اما الفصل الثاني فقد خصصناه للدراسة الميدانية للجامع الكبير بتلمسان الذي تضمن تمهيد وأربعة مباحث وخلاصة فصل، وأخيرا خاتمة وبعدها ملحق للصور.

*الفن الإسلامي و تأثره بالحضارات الأخرى

لا يخفى أن الفنون الإسلامية هي نتاج حضارة كبيرة أضاءت بنورها العالم من أقاصي الشرق إلى أقاصي الغرب،رغمإدعاءات بعض المستشرقين بأنها صورة متأخرة من الفنون التي سبقت الإسلام كالبيزنطية والساسانية فالمستشرقين هم أول من عنى بالتراث المسلمين لأنهم لاحظوا أثر الفن الإسلامي في الفن المسيحي الأوروبي،فالمسلمون ترجموا ماكتبه الغربيون فاندهشوا بما فيه من أهمية لأنه فنون إمبراطورية امتدت من الصين شرقا إلى إسبانيا و أقصى جبل الأطلس غربا،ضمت شعوبا كبيرة كانت بها حضارات و فنون تأثرت بروح الإسلام فطورت هذه الحضارة و الفنون بما لا يخالف تلك الروح.[1]

فالفن الإسلامي ليس بالضرورة هو الفن الذي يتحدث عن الإسلام،إنما هو الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود فهو يجمع بين الجمال و الحق فالجمال حقيقة الكون و الحق ذروة الجمال[2]،كما نشأ هذا الفن في بلاد لها حضارات قديمة عريقة تفاعلت فنونها مع إبداعات الفنان المسلم التي جسد الفن الجديد الذي له روح إسلامية كونت شخصيته التي أثرت في فنون العالم الشرقي و العربي متجلية في فنون العمارة و الرسم و النحت و فنون أخرى كالتحف المعدنية و الزجاجية و فن الخط العربي و النقش[3] و شساعة الفن الإسلامي نتج احتكاكه بثقافات متنوعة وجنسيات مختلفة مما جعل للفنون سمة التنوع الناتج عن تمازج الحضارات .

فالتوحيد هوالأساس النظري الفكري لحضارة الإسلام، و الفن الإسلامي أحد مظاهر الحضارة الإسلامية .

إذا كان علماء الحضارة يعتمدون في دراستهم على مخلفات الأمم من التحف المنقولة من المتعة و الأدوات ليتعرفوا عن أحوالها وعاداتها ،فالتحف الثابتة مثل :العمائر و المباني وما يماثلها أضحت في مقدمة ما يحرص علماء التاريخ الحضارات،فالعمارة هي السجل الذي يستسقي منه تاريخ الأقدمين من تقدم و ازدهار،فإن العمارة الإسلامية قد ترتبط في كافة مجالات حياتنا فنرى إبداع الإنسان و تطوره من خلال مايتعلمه كل يوم لقوله تعالى "علم الإنسان مالم يعلم"سورة العلق الآية 5.[4]

---

[1] للدكتور عبد اللطيف سلمان. تاريخ الفن و التصميم هالة للنشر.القاهرةج4.ط1..2000ص33.
[2] الدكتور إياد الصقرالفنون الاسلامية دار مجدلاوي للنشر و التوزيع عمان ط1 2003 ص20.
[3] للدكتور بلقيس محسن هادي دراسات في الفن الاسلامي دار النشر القاهرة ط1 2010 ص7.
[4]

لقد جاء الإسلام دين التوحيد و الناس جميعا و الناس جميعا فكانت عالمية الدين الخاتم للرسالات لإبعاد البشرية من الاستعباد و التخلق و التفرقة،ومن ذلك المنطلق أدرك المسلمون الأوائل هذه الأهمية، فظهرت الدولة الإسلامية إلى العالم الوجود مهيئة المناخ لحضارة سما فيها فنها الذي استوحى من الفنون السابقة ماتلاءم،كما أضافت الكثير من القيم و المبادئ،فكانت الحضارة الإسلامية حضارة إنسانية من أصفى و أجمل الحضارات التي مرت بها البشرية و امتدت رفعة هذه الحضارة تشمل جل بقاع العالم[1]

و الغريب أن الكثير من الغربيين حين ينسبون العناصر الفنية الإسلامية إلى بعض الفنون القديمة للحط من شأن العرب،فأطلقوا على هذا الفن أسماء غير جامعة، فبغضهم سماه الفن الشرقي،فهواسم يصلح للفنون الإسلامية التيازدهرت في بلاد العرب و الشام و العراق،وسماهآخرون بالفن الغربي و هذا لا يصلح إلا على الفنون الإسلامية التي كانت في الأندلس و مراكش و الجزائر،و فريق ثالث سماه بالفن العربي و لكنها تسمية يعترض عليها بأنها تبخس حق الإيرانيين و الأتراك و الشعوب الأخرى التياشتركت في الإمبراطوري الإسلامية[2].

كما أن الأوربيون أطلقوا على الفن الإسلامي اسم(mohammed art) فلم يتقبلوها المسلمون لأنها تسب الرسول صلى الله عليه وسلم فهي ظاهرة دنيوية وجانب من جوانب الحضارة،و هذه التسمية ثقيل جدا على السمع،في لأن أفضل الأسماء هو اسم (الفن الإسلامي).

كما قامت في العالم طرزوأنماط و مدارس و أساليب فنية تطورتتطور العصور و الحضارات و تأثرها بالأحداث السياسية و الفروق بين هذه الطرز أكثرها تكون في العمارة ،فهكذا نرى أن العمائر و التحف الإسلامية لها طابع خاص ، فالعمائر تختلف في مواد العمارة نفسها و في أنواع الأعمدة و العقود و الأقواس و في الزخارف الهندسية و النباتية و الكتابية.[3]

و في الوقت الذي حافظ فيه الفن العربي على هويته الأصلية فإنه قد تأثر أيضا بمحيط الحضارات التيتعايشت معه أو التي سبقته في القدم كما خلقت الحضارة العربية نماذج رائعة من التحف المعدنية و بخاصة البرونز المكفت المشغول بالكتابات الناتئة كالأواني والأباريق،وصناعة الحلي و الذهب من الصناعات القديمة التي استلهمت تراث الحضارات

---

[1]- الدكتور عبد اللطيف سلمان نفس المرجع السابق ص33
[2]-الدكتور اياد الصقر نفس المرجع السابق ص19
[3]الدكتور اياد الصقر نفس المرجع السابق ص 21

التي سبقت الإسلام ، و أيضا يجب أن نفتخر بفنوننا العربية التي أسهمت في رفع الحضارة الإنسانية بعطاء خصب و غذته بثراء من نتائج فنانيها في ميادين الفنون و الصناعات اليدوية،فلن تقبل أن تدخل إلى حضارتنا مفاهيم فنية غامضة تؤثر في صلب حياتنا الإنسانية[1]

فالفن الإسلامي ذو شخصية قائمة بذاتها و يكفينا فخرا أنه بعد مرور أعوام على ولادته إلا أنه ترسخ في أعمال لم يعد بإمكاننا نسبها للفنون القديمة التي أغنته.

[1]-دراسات في الفن الإسلامي ص3 ط1-2010 بلقيس محسن هادي

الفصل الأول

الزخرفة الإسلامية في المساجد

تمهيد:

إن الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم،استمد منه إلى جانب اللغة قدرته على التعبير من خلال الأشكال الفنية،فقد جاء الإسلام ليذكر الناس لقول الله سبحانه و تعالى "و ماخلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون "كما جاء أيضا بطرق ووسائل لتطوير الفنية بين المؤمنين،إن للفن علاقة بينه و بين الإسلام:فالدين يبحث عن الحقيقية ،و الفن يبحث عن الجمال كذلك أنه ليبقى في حقيقية النفس بالفن، فكلاهما انطلاق من عالم الضرورة و كلاهما شوق لعالم الكمال،ومن هنا يلتقي الفن و العقيدة في أعماق النفس،كما يلتقيان في أعماق الوجود فالفن يأخذ من الإسلام شموليته و سعته وكذلك التعبير عن فطرة الكون ،فهو بعرض الحياة البشرية في شمولها المتكامل الذي شمل كل جوانب النفس الإنسانية الفاعلة في هذا الوجود.

فالإسلام وحده هو الذي شملت فكرته هذه الجوانب كلها في توازن و انساق،فإن كل فكرة و نظام و عقيدة قد أنشأت فنا مبينا على طبيعة تصورها للكون و الحياة و الإنسان ،و أختلف الفنانون بطبيعة الحال لحسب إستعدادتهم الفردية،و الزوايا التي يرصدون منها الوجود، لكنهم تأثروا جميعا بطبيعة تصورهم،وانجذبوا في الميزان الفني و الإنساني لحسب هذا التصور الذي يشغلها في هذا الكون مكانا لهم.

إلا أن الإسلام و بمكانته و شساعته لم يعد تعبيره الفني الكامل في غير القرآن،فهو يركز على ارتباط الفن بالأخلاق الحميدة فهو بذلك يسمو بمشاعره و سلوك الإنسان،فالفن كما يقال أنه نتاج لكل إبداع إنساني،و هو أيضا أحد ألوان الثقافة التي تم اكتشافها ،فالفن من المنظور الإسلامي ليس بالضرورة الفن الّذي يدور حول الإسلام،بل يرسم كل ماهو موجود من خلال تصوره لقول الله سبحانه و تعالى"إن الله جميل يحب الجمال" إلا تشجيع لأولئك الذين من الله عليهم بموهبة فنية يجب أن يوظفوها لخدمة عقيدتهم ،و إن عمل الفنانين هو ترجمة الإسلام العليا إلى لغة جمالية قوامها أشكال و نماذج تظهر في الإبداع المعماري الذي زين به كل شيء.

فيذكر الفنان خالد حسين محي الدين قولا شائعا بين نقاد و مؤرخي الفن "إن الفن تعبير عن فكرة دينية في الإنسان أو بواسطته،و إن الفن والدين توأمان منذ البداية"فهذا القول ينطبق على جميع الديانات،ولكن نصيب الإسلام لا يكاد يذكر لأن الإسلام اعتنىبجميع الفنون، كما حرم الله سبحانه و تعالى التصوير،فالفنان المسلم يهاب من هذا فهو و ما يوجد في ذهنه بأن الله هو المصور،و لكن الفنان وضع لهذا سدا منيعا لأنه أبتكر أنواعا من الفنون و من بينها فن الزخرفة إلى أعطى لها دورا كبيرا،واهتم بها جميع الفنانون ،وحسبنا أن نتشرف لهذا الفن الإسلامي الذي زين صفحات القران الكريم و ستار الكعبة حتى أنه دخل فيكليات الفنون الجميلة و الهندسة و أصبح متقنوه مطلوبين في مصانع النسيج،و القماش و الرسم في القصور الملكية و دور الحكم و غيرها.و ليس من شك في أننا نستطيع أن نستنبط من

الفنون الزخرفة الحقائق التاريخية ذات الصلة الوثيقة بالحياة الاجتماعية و الاقتصادية كما نكشف عن المستوى المعيشي و ازدهار الصناعة و خصوصا في البلدان العربية الإسلامية

المبحث الأول:تعريف الزخرفة الإسلامية

الزخرفة لغة:من الفعل زخرف. زين. زور

و الزخرفة:الذهب،ويطلق على كل ماهو مموه أو مزور[1]

و المزخرف:المزين[2]

و الزخرفة:التزيين و التحسين[3]

الزخرفة:هي علم من علوم الفنون التي تبحث في فلسفة التجريد و النسب و التناسب و التكوين و الفراغ و الكتلة و اللون و الخط ،وهي أما وحدات هندسية ،أو وحدات طبيعية(نباتية ،أدمية، حيوانية)تحولت إلى أشكالها التجريدية،و تركت المجال لخيال الفنان و إحساسه و إبداعه حتى و ضعت لها القواعدو الأصول[4]

و يرى (أل سعيد):ليس الزخرفة أكثر من فن إسلامي،ينشد متعة النفس البشرية ،لما يبقيها من انفعال جمالي و إبداعي ،و هي أيضا فن تشكيلي، فإنها بذلك شأن الرسم و النحت و العمارة ، إنها ذات بنية مكانية،نستوعبها عن طريق البصر و اللمس أحيانا،فهي فن يقوم بمخاطبة الوعي الإنساني الداخلي الذي يقع ماوراء الإحساس و العاطفة،عن طريق الأشكال المجردة كواسطة للتغير[5]

كما هي تعبير و تزيين إسلامي ،له حضور جمالي على وجهات و دواخل المساجد و المراقد و الأماكن الدينية.

و الزخرفة زينة النبات لقوله تعالى "حتى إذا أخذت الأرض و أزينت،و ظن أهلها أنهم قادرون عليها"[6]

---

[1] خالد بن صالح المونع،من أحكام و فضائل المساجد،دار الهالة للنشر و التوزيع،القاهرة 2001، ص143

[2] الرازي،محمد بن أبي بكر بن عبد القادر،مختار الصحاح، دار الرسالة،الكويت1982،ص28

[3] غالب عبد الرحيم:موسوعة العمارة الإسلامية، جروس بيرس، ط1،بيروت لبنان،1988،ص112

[4] نصر الدينبنطيب،تاريخالفنمنالعصريالحجريإلىالعصر الغوطي،قسمالفنونجامعةوهران،السانيا،ط1 ،2008 ص244-246-248

[5] السعيدشاكرحسن:الأصولالحضاريةوالجماليةللخطالعربي،دار الشؤونالثقافيةالعامة،بغدادط1 1988 ص39

[6] سورة يونس الآية 24

كما هي تعبير و تزيين إسلامي ،له حضور جمالي على وجهات و دواخل المساجد و المراقد و الأماكن الدينية.

و الزخرفة زينة النبات لقوله تعالى "حتى إذا أخذت الأرض و أزينت،و ظن أهلها أنهم

قادرون عليها فهي تعتبر مرآة الحضارات،فهي تعكس طبيعة حياة الشعوب و عاداتهم و تقاليدهم كما نشأت الزخرفة في بداية عهد الخليفة عمر بن خطاب و الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنهما ،اللذين كان منشغلين بالفتوحات الإسلامية ،التي تبعتها بعد ذلك الخلاف،لبنى علي بن أبي طالب رضي الله عنه و معاوية ،لهذه الأسباب كان التفكير متجها نحو بناء دور العبادة كمثل التي بنيت في بلد الفارس.

و يعتبر عبد الملك بن مروان أول من اهتم بالزخرفة الإسلامية،و ذلك عندما اعتنى بقية الصخرة في القدس و أعطاها جل اهتمامه،لتكون رمزا معماريا يحتوي عل أرقى الزخارف عندما اعتنى بقية الصخرة في القدس و أعطاها جل اهتمامه،لتكون رمزا معماريا يحتوي عل أرقى الزخارف الإسلامية ،التي كما قلنا تبتعد عن تصوير كل مابه روح،حتى ورقة كانت تجزأ إلى نصفين،لتظهر شكل جامد لاحياة فيه[1]

فالزخرفة الفارسية هي أساس الزخرفة الإسلامية ،من خلال العناصر الفارسية التي دخلت الإسلام ،وكانت الزخرفة الفارسية تعتمد في غالبها على الابتعاد عن أي صورة لأي كائن حي ،فاتخذت النباتات و أوراق الشجر عناصر أساسية متداخلة مع بعضها ،لإعطاء لوحة زخرفية في نهاية الأمر.

[1]حسن باشا موسوعة العمارة و الفنون الإسلامية،الدار المصرية العامة للكتاب ،القاهرة 1978 ص101

المبحث الثاني :نشوء الزخرفة الإسلامية عبر العصور

من الصعب أن نؤشر تاريخيا لوجود الزخرفة في حياة الفنان المسلم فهي تعبير عن التطور و يمتد عمقها بعمق التاريخ حيث وجدت الرسوم منذ أن كان الإنسان يعيش في الكهوف في العصور ماقبل التاريخ و زخرفة جدران الكهوف المختلفة،إذا استخدمت على الأدوات و التحف و هذه الصفة غلبت على الوحدات الزخرفية ذات الطابع الهندسي الذي تميز بالجمود و قد اعتمد تكوينها الأساسي على النقطة و الخطوط المجردة،التي لا تعمل في الغالب أي أفكار ،وقد كان للنقطة و الخط دورا فاعلا في تصميم الرسوم الزخرفية التي تعتمد على سعة الخيال ،فقط اعتمد على الوحدات الهندسية و الآدمية و النباتية و الحيوانية ،تحاكي الطبيعة و استخدام هذه الوحدات على المساحة المحددة الضيقة في الاعتماد على رسم جزء منها الذي أدى إلى التحوير و التجريد للوحدات الزخرفية حيث ساهم هذا في التوصل لها التي كانت أساسا لتطويرها ،وإن تطور الإنسان من الناحية الحضارية و الاقتصادية له أثر بالغ في إدراكه و تذوقه للزخارف المجردة التي تعددت تفاصيلها و عناصرها حيث انعكست على الصناعات اليدوية بمختلف أنواعها ،كفتل الحبال ،و استخدام سعف النخيل و صناعة الفخاريات و زخرفتها ،و تعد الزخرفة من الفنون التي لازمت الإنسان منذ القدم ،و هذا مانقله أقدم الحضارات العريقة التي تركت بصماتها على أثارهم التي لا تزال شاخصة للعيان ،و تعتبر الزخرفة إحدى مظاهر الجمال إلى جانب كونها تمثل التغير عن الأشياء عندما تكون لها صلة لها بحياة الإنسان ،وأعماله و طريقة تفكيره ،ومعتقداته و أحزانه و أفراحه و خوفه،و أمنياته و حب التملك،فالإنسان منذ بدئ الخليفة يحب الجمال و الطبيعة إلى تدخل العرف الزخرفي بإطار جمالي بحث ضمن الجمال لامحدود ومما لا شك فيه أن الإنسان استمد عناصره الأولى مهما كان يشاهد ما حوله فكان مقلدا يحاكي الطبيعة نسخ مصورة تنقلها العيون و يخزنها العقل دون أي تحريف أو إبداع في الشكل و اللون و هي الزخارف و الألوان التقليدية[1].

[1] محي الدين طالو،المشهور من فنون الزخرفة عبر العصور دار النشر القاهرة ط1 . 2003 ص13

-**التكوين بالنقط:**من الأساليب التي استعملها الفنان المسلم للزخرفة فكانت الحفر علي الحجر بواسطة حجر صغير يشد به ،غير أن علماء الآثار قدروا عن طريق عمل الخطوط الخارجية للصورة كلها بالنقط، DOT PAINTING' أن الإنسان في بداية حضارته استخدم التكوين بالنقط ،وكان يستخدم لهذا الغرض عدد نباتي أو عود من الخشب تثبت في نهايته قطعة من الفرو،تغمس في محلول المادة اللونية و الماء أو مخلوط المادة اللونية،ودهن الحيوانات

ويلون بها على الحجر بعد تسوية و لعل برز الأمثلة على هذا الأسلوب، رسم لحصان في كهوف لأناس بإسباني.

2-الزخرفة باستعمال الألوان المائية:

تقدم المسلم خطوة أخرى في الفنون الزخرفية ،فعندمابني أكواخه التي كان يعيش فيها رأى أن يعطي الحجر الغير مهندم لكي يستر شكله القبيح،ثم رأى أن يزينها بصور مائية ،فقد عرف كيف يحضر الألوان ،وكيف يستخدمها في الرسم و جميع الألوان التياستخدمت للرسم في العصور القديمة من النوع الرفيع المعدني ،بعد طحنها ومزجها بالغراء الحيواني أو لا زال البيض،استخدم أيضا المسلمون عن نشأة حضارتهم هذا الفن الزخرفي ،من أشهر نماذجه ما وجد في قصر عمرة ببادية الشام.

3-الزخرفة و النار:

عندما عرف الإنسان النار،واهتدى إلى عمل التابوت و الأجر أي اللينالمشوي في النار بناء مساكنه و معابده ،حاول أن يحدث أشكالا هندسية بواسطة طريقة وضعه في الجدران.

4-الزخرفة بالتزجيج:

اهتدى الإنسان في زمن غير معروف بالضبط إلى مادة جديدة لعبت دورا هاما ليس في زخرفة الجدران ،بل في أنواع أخرى مختلفة و كثيرة ،التياستعملها و هي سائلة في في حياة الإنسان القديم ،و حياة الإنسان في العصر الحديث على السواء هي مادة الزجاج بها الأجر ،فأكسبهامنظر جميلا و ألوان رائعة فزجج أشكالا رائعة بعضها هندسي و منها الجدران لمعبد الوركاء في العراق و بعضها ذا أشكال فنية رائعة كبوابة عشتار و جدران شارع الموكب و قاعة العرش في بابل.[1]

[1]محمد عبد العزيز مرزوق،الفنون العثمانية الهيئة العانة للكتاب القاهرة 1988 ص 11-12

5-**الزخرفة بالفسيفساء**:

و اهتدى الإنسان إل طريقةجديدة ،في الحقيقة يمكن أن نعتبرها تطورا طبيعيا للطريقة السابقة ،أي طريقة استعمال بصفة عامة،هي نوع الخزف يقوم على تكوين رسوم مختلفة بواسطة قطع صغيرة MOSAIC الفسيفساء الخزفية،استعملها الرومان وورثها البيزنطيين،وتعد الفسيفساء قبة الصخرة 691م،أروع ماتبقى لنا من الفن الإسلامي من هذا

النوع من الزخارف ،ويلاحظ على الألوان الغالبة على هذه الفسيفساء الذهبي و الفضي و الأزرق و الأخضربدرجاته المختلفة و كذا الأحمر ،البنفسجي ،الأسود،الأبيض فورث الحرب من الأمم هذه الطريقة و عدلوا فيها و اتخذوا منها وسيلة للتزيين في كل مكان

صالح لاستعمال هذا العنصر الزخرفي.[1]

[1]أحمد فكري. فن العمارة و التحف الفنية ،مركز مطبوعات اليونسكو،القاهرة 200م،ص130،131

المبحث الثالث:أنواع الزخرفة الإسلامية

استعمل الفنان الإسلامي الزخرفة و التزيين معتمدا على عناصر نباتية و هندسية و كتابية و زخرفة أدمية إضافة إلى الزخرفة الحيوانية ،كثيرا ما كان يمزج بين هذه العناصر ،كأن يجعل الأشكال الزخرفية النباتية المترابطة أرضية للنصوص الخطية،أو حشوات ثنايا الزخارف الهندسية المتشابكة و يمكن توضيح أنواع الزخارف طبقا للعناصر المستوحاة منها على النحو الأتي.

أ/الزخارف النباتية:

اعتمد الفنان المسلم على عدم محاكاة الطبيعة بشكل حرفي،بلاستوحى منها وطورها نحو الأشكال التجريدية ، وأولع المسلمون بالزخارف النباتية إلا أنهم ابتعدوا عن مظهر النبات الطبيعي ،فظهرت زخارفهم النباتية مجردة بشكل كلي [1]

وقد ذكر النبات في القرآن الكريم وصور فنية يطهرها الله من خلال مناهج النباتات لقوله"هو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا و من النخل من طلعها قنوات دانية وجنات من أعناب و الزيتون و الرمان مشتبها و غير متشابه ،أنظروا إلى ثمرة إذا أثمرت ونيعة إن في ذلك الآيات لقوم يؤمنون"[2]

ومن خلال هذه الآية فإن الفنان المسلم استخدم زخارف نباتية تتكون من جذور و سيقان وأغصان وأوراق و أزهار و ثمار مختلف النباتات مثل النخلة و شجرة السرو والصنوبر و اللوز و العنب و التوت و التين و الزيتون و الرمان بعضها محور و الأخر متداخل مع عناصر زخرفية أخرى و منها مايقلدا الطبيعة بهذه الدرجة أو تلك حسب العصوروالأقاليم ،وقد استخدم في تزيين منتجات الفنون التقليدية،وتتواصل بعض العناصر الزخرفية للتوريق في مشغولات المسلمين الفضة الحديثة[3] فقد انتشراستعمال الزخارف في مجالات مختلفة في تزيين الجدران و القباب و في التحف المختلفة ،نحاسية و زجاجية و خزفية ،و في تزيين صفحات الكتب و تجليدها.

---

[1] الدكتور إياد الصقر ،الفنون الإسلامية ،دار مجدلاوي للنشر ،عمان ،ط1،2003، ص58

[2] سورة الأنعام الأية 39

[3] الأستاذ فداء حسين أبو دبسة ،خلود بدر غيث، سماح أسامة عرفات ،الزخرفة الاسلامية،مكتبة المجتمع العربي،عمان ط1،2008 ص24

و الأبواب و السقوف و السجاد و الأثاث،و كذلك في صفحات الكتب و أغلفتها ،و قد تكون ثلاثية الاتجاه كما ترى في الأعمدة أو العقود،و في المقرنات في أعالي البوابات أو

جدران القباب ، وفي كثير من الأحيان تكون الوحدة في هذه الزخرفة مؤلفة من مجموعة من العناصر النباتية متداخلة و متشابكة ،متناظرة،تتكرر بصورة منتظمة [1]

ومن أشهر الأنماط الزخرفية النباتية الإسلامية تلك الزخارف إلىاصطلح الأوروبيون على تسميتها "الأرابيسك" وهي لفظة عربية تعني لغويا "العربي"أطلقها الغربيون على التكوينات الزخرفية النباتية التي قوامها الأغصان و فروع و أوراق ترسم بصورة مجردة محورة و اصطلاحية ،وتكون منتظمة هندسيا[2].

2/الزخارف الهندسية:

استخدم الفنان المسلم في استعمال العناصر الهندسية من دوائر و مثلثاتأشكال معينة، والدوائر المتماسكة و المتجاورة و الخط المتكسر و اتجه نحو التجريدية في زخرفة المساحات الهندسية ،كما عرفت هذه الزخارف في عصور ما قبل التاريخ كما عرفتها الحضارات التيازدهرت قبل الإسلام و لكن لم يكن لها تلك الأهمية التياكتسبها على يد المسلمين،وقد بدأ الميل إلى الزخارف الهندسية في القرن العاشر ميلادي،كانت في البداية رسوم بسيطة ثم زادت تعقيدا نظريا أكثر منه حقيقيا،و كان لتلك الرسوم الأصول ،أصلها تقسيم محيط الدائرة إل أجزاء متساوية ،ثم توصيل النقط ببعضها البعض للوصول إلى أشكال الهندسة المختلفة و تجلت الزخرفة الهندسية كحلية معمارية في المقرصنات[3]

و يتكون هذا الصنف من الزخرفة من رسوم منبثقة عن أشكال أساسية متماثلة تتجمع فتشكل شبكة من الخطوط تبسط إشعاعها انطلاقا من بؤر متعددة في نفس الوقت،و تتركب هذه العناصر انطلاقا من دائرة مركزية،تتدرج بها في شكل متوازن دقيق،فظهرت مربعات و مثلثات تتطابق فيما بينها لتشكل تشبيكات في المضلعات المثمنة و السداسية و..... وغيرها من الوجوه الهندسية التي تتداخل فيما بينها حسب نظام مرسوم،أما الدائرة المركزية.

---

[1] المهندس محمد عبد الله الدراسية و الأستاذ عدلي محمد عبد الهادي،الزخرفة الإسلامية -مكتبة المجتمع العربي عمان،ط1 ،2008-ص39

[2] الأستاذة فداء حسين،نفس المرجع السابق، ص23،23

[3] الدكتور إياد الصقر،نفس المرجع السابق، ص62

التي وضعت في البداية تتلاشى نهائيا أو جزئيا توحي للمشاهد أرضية مليئة بالرسوم [1]

وقد زينت هذه الزخرفة المباني ،وكما وشحت التحف الخشبية و النحاسية و دخلت في صبالهندسة العملية ،فعن طريق الأشكال الهندسية نحصل على مالا حصر له من تلك الزخارف البديعة التي تستوقف العين لتنقل بها رويدا رويدا من الجزء إلى الكل ومن كل جزئيإلى كل أكبر والزخرفة الهندسية ذات أهمية خاصة في الفن الإسلامي،ولعل أهميتها تلك نتيجة لما أشرنا إليه في الزخرفة النباتية من حيث مطابقتها للمواصفات التي يقبلها المنهج الإسلامي وهدا ما يفسر لنا ذلك الأثر الكبير الذي تفرضه على كل الفن الإسلامي ،إذا أصبح الأسلوب الهندسي واحدا من الأساليب التي طبعت الزخرفة النباتية نفسها بأسلوبها فكثيرا ماجاءت هذه الزخرفة بإخراج هندسي عجيب بل إن الكتابة نفسها و هي الفن الإسلامي الأخر فكثيرا ماتفنن في إخراجها الفنان فجاءت في قوالب هندسية متنوعة الأشكال[2].

[1] الدكتور إياد الصقر،نفس المرجع السابق، ص63

[2] المهندس محمد عبد الله الدراسية و الأستاذ عدلي محمد عبد الهادي،نفس المرجع السابق ص41،40

3/الزخرفة الكتابية :

إن كان الفنان المسلم قد استلهم عناصر فنية من الحضارات الأخرى في الزخارف النباتية و الحيوانية و الآدمية و الهندسية ،فإنه كان مبتكرا و مجددا بالنسبة للزخارف الكتابية،حتى أضحى هذا الاتجاه الزخرفي أجد العناصر المميزة لفنون المسلمين و الموحدة لإطارها الحسي العام.

كما استخدم الفنانون المسلمون الخط كعنصر زخرفي،فقد كان الخط العربي وسيلة للعلم ثم أصبح مظهر مظاهر الجمال ،ورسم للغة القران الكريم ،و مازال ينموا و يتحسن و يتنوع و يتعدد حتى بولغ في أساليب التحويرات الجزئية في حروفه المفردة و المركبة ،فاعتبروه بهذا التحوير نوعا من الزخرفة ،وبلغت أنواعه بهذه التقنيات الكمالية في العهد العباسي [1]

لما فضل السلاحقة في هذا العهد زخارفهم الكتابية ،الحروف الكوفية المنتهية بتوريقات كما في برج السلطان مسعود الثالث بمسجد الخزنة مع بروز خطوط و مراوح تحليلية أكثر بروزا[2].

و أثر الخط الكوفي بأنواع عديدة العمائر و الفنون الإسلامية ،و كانت له السيادة حتى العصر العباسي حين بدأخط النسخ و مشتقاته في مزاحمته للسيادة الفنية ،ومن أهم صور

الخط الكوفي :الكوفي البسيط الذي لا زخرف فيه ،والكوفي المورق أي المنقوش على أرضية بها زخرف نباتية و الكوفي المزهر أي الذي تخرج من حروفه فروع نباتية بها أزهار ،والكوفي المضفر أي الذي تشتبك فيه الألف و اللام على هيئة ضفيرة.

أما أنواع الخطوط الأخرى كالنسخ و الثلث قد أبدع فيه الفنان أو الخطاط حتى صارت تمتزج كما في المعادن المملوكية بالأشكال النباتية و الحيوانية ،وعلنا نستطيع التوقف غن الخط العبري،وهي صورة مصغرة من خط النسخ و لكنها في الحقيقة صورة غاية في الدقة،ويكفي (DUST SCRIPT)يدل علىاسمها فهو كما يفهم من هذا الاسم صغير كأنه الغبار أن نعرف أن بعض الخطاطين الذين أجادوا كتابته ،فقد نقشوا القرآن على حبة من الأرز وبعضهم نقشه على بيضة دجاج، وأما الخطوط المثنية أو الكتابة المنعكسة ، فهو نوع من الخط يكشف عن مهارة الخطاط و عبقريته إذا نكتب العبارة مرتين بحيث نقرأها من اليمين إلى اليسار و العكس،وهو يمزج بين حروفها بحيث يخرج من المزج شكلا زخرفيا جميلا.[3]

---

[1]محمد عبد العزيز مرزوق،الفنون العثمانية ،نفس المرجع السابق ،ص120
[2]وجدان علي ،التعريف بالفن الإسلامي-دار البشير عمان-1908م ص188
[3]حسن الباشا،موسوعة العمارة و الفنون الإسلامية،نفس المرجع السابق ،ص78

4-الزخارف الحيوانية:

لم تكن الكائنات الحية غاية بل وسيلة تستخدم كوحدة في العمل الزخرفي، بل وقد اتخذت منها الفنون القديمة الأشكال الأسطورية،إذا تطورت هنا شخصية الفنون الإسلامية في كراهية تمثيل الكائنات الحية ، ويرجع ذلك إلى الاستناد لحقائق العقيدة الإسلامية في لبعد عن المظاهر الوثنية فقد جاء الإسلام ليقضي على الوثنية المتمثلة في عبادة الأشخاص و الكائنات الحية مما يلفت النظر ،زخارف المصاحف و المساجد إنها ظلت خيالية من العناصر الآدمية و الحيوانية.[1]

وشاعت نحوت بعض الحيوانات و رسومات في الحضارات القديمة ،و بالذات في واد النيل و الرافدين و فاس ،وقد تأثر بها البيزنطيون إلى حد بعيد ،و رافقت الحيوانات كالإبل و الخيل و الغزلان سكان البادية العربية و إعانتهم على قضاء حاجتهم و انعكس ذلك في التعبير الفني العربي و خاصة الشعر ، ثم عادت بعض العناصر الحيوانية فيما بعض تظهر في فنون المسلمين و خاصة عبر تراث الساسانيين ،و أنصع مثال على ذلك الأطباق الفضية الشهيرة المحفوظة في عدد من متاحف العالم (كمتحف البريطاني التي زينت بزخارف حيوانية،كما تحتل في فنون المسلمين موقع الوسط بين تأثير مفاهيم كراهية تصوير الأشكال الآدمية و حرية استخدام الزخارف الهندسية و الكتابية ،كما نفذوا أشكال الحيوانات فداروا في العمائر ، ولكن فناني تلك العصور لم يعكسوا صورة عالم الحيوان بواقعية ، ولكن حاولوا

جهدهم الابتعاد عن محاكاة الطبيعة و تحوير عناصرها الحية إلى مفردات و تركيبات زخرفية استخدموها لأغراض تزيينية و جمالية و رمزية ،أو كانوا يضيفون عليها زخارف كتابية و هندسية لإبعادها عن الواقعية[2]

و أستعمل المسلمون في زخارفهم رسوم الأسد و الفهد و الفيل و الغزال و الأرنب و الطيور الصغيرة بأنواعها كما أخذوا عن فنون الشرق الأقصى رسم الحيوانات خرافية مركبة كالتين و العنقاء،وهكذا نوعت المصادر الحيوانية المفردات و العناصر الزخرفية بين الفنانين المسلمين الذين أظهروا مهارتهم الفنية و قدراتهم التقنية لإبراز و تجسيم أشكال

الحيوانات وأضفوا بما أنتجوه البهجة على المشاهد و هنا يقول عبد الله بن المقفع في مقدمة كليلة و دمنة.

---

[1]-محمد بن عبد العزيز نفس المرجع السابق، ص120

[2]الأستاذ عبد العزيز حميد، الفنون الزخرفية بغداد ،ط1-1982م ص26

"إظهار خيالات الحيوان بضيوف الأصباغ و الألوان، ليكون أنسا لقلوب

ويكون حرصهم عليه أشد للنزهة في تلك العصور"[1]

وكما عمد بعض الفنانين المسلمين أبي خلق أشكال حيوانية غير واقعية ولا وجود لها في الطبيعة مثل الحيوانات الخرافية.

الزخرفة الآدمية:

يندر نحت الإنسان و ينحسر تصويره في فنون المسلمين قياسا بضروب الزخارف الكتابية و الهندسية و النباتية من جهة و إلى فنون الحضارات الأخرى من جهة أخرى و نتيجة لامتزاج ثقافات القبائل و الشعوب الإسلامية تعددت عندهم مدارس التصوير فكان رسم الكائنات الحية معروفا لدي الأمويين و العباسيين .... الذين أبدعوا في تصوير الشخوص وتركوا مؤثرخلابة ،كما صور الفنانون المسلمون الشخوص على مختلف المواد،فكانت تضرب على المسكوكات الإسلامية المبكرة و الوسيطة و المتأخرة مثل النقود التي تحمل رسم شخص يتقلد سيفا ،بالإضافة إلى حشد من الرسوم الآدمية التي نفدت غلى الجدران و صفحات المخطوطات و التحف المصنوعة من الفضة و المعادن الأخرى،و غيرها ،أما

التماثيل فقليلة و تليها النحوت البارزة التي نجدها في نماذج العاج و الخشب و المعادن.[2]

كما أن هذه العناصر الآدمية قد استبعدت تماما من المساجد،إذا أن هذه المساجد في عرف المسلمين هي بيوت الله الواحد،ولا يجوز قطعيا مضاهاته في خلقه من ذوات الروح برسم أو تجسيم،فقد استخدمت هذه الزخارف بكثرة ،وقد كثرت العناصر الآدمية و الحيوانية في المباني الأموية خاصة القصور كقصور عمرة...إلخ و قصر الحمراء في الأندلس،فظهر

أسلوب القصصي الزخرفي في جدران قصر عمرة لمشاهد صيد و ألعاب رياضية و صور راقصات و نساء و أبراج الحظ،كما ظهرت أيضا في قصور أخرى تماثيل لنساء[3]

و إذا كانت الحروب و الغزوات و أهمها غزو المغول و دمار الأندلس و كذلك نهب الاستعمار و عوامل التلف قد أتت على جل تراث المخطوطات الإسلامية المصورة ،فإن ماوصل من نماذج يشهد على عبقرية الفنان المسلم و خصوصية أسلوبه في الرسم و التصوير و نتيجة لتحفظ الفنانين المسلمين في تصوير الشخوص تميزت رسومهم بعدة

مظاهر أهمها :السمة الزخرفية للصورة الفنية :فهي مسطحة و غير مجسمة و تبدو هادئة و ساكنة، ووجوهها اصطلاحية لا تدل على أصحابها بل تعبر عن الإنسان عامة.

---

[1] الأستاذ فداء حسين أبو دبسة و أخرون،نفس المرجع السابق، ص26-27

[2] الدكتور إياد الصقر،نفس المرجع السابق، ص96

[3] ابو صالح الألفي ،الفن الإسلامي، دار المعارف لبنان،ط1-1982 ص118

المبحث الرابع:قواعد و أسس الزخرفة الإسلامية

للزخرفة الإسلامية قواعد مستمدة من الطبيعة تخدم الغاية في التزيين و التجميل،ومنح المعمار فنيته و جماليته و دلالته...بحيث نستطيع أن نفهم آليات عمل الفنان في مجال الزخرفة و نتوصل إلى دلالات و خصوصيات هذا البناء أو ذلك فهذه القواعد الزخرفية تشترك فيها الفنون التشكيلية من أهمها:

1-التوازن:

صفة التوازن من صنع الله جل جلاله،جرت عليها مقادير الكون قال تعالى "و الأرض مددناها و ألقيناه فيها رواسي و أنبتنا من كل شيء موزن"[1]

[1]سورة الحجر الأية 19

قوى الدفع من كتل و حجوم و مساحات و ألوان و خطوط في التصميم بحيث لا فهو تعادل تطغى و حدة عن أخرى ،فيؤدي إلى عدم الراحة بالنسبة للمشاهد،فالله حلق الكون باتزان نقصان،فالإنسان أحد مخلوقات هذا الكون فصورته صورة متزنة و ليس فيه زيادة أو

ينقصها التوازن الغامق و الفاتح و درجات الألوان فهو يشمل كل مكونات الوحدة الزخرفية و كل مكونات العمل الفني بما فيه من نقط و خطوط و طلال،...إلخ إلا أنه لا يوجد لديه قاعدة حسابية ،بل كل فنان في زمن من الأزمنة أو حضارة لو وجهة نظر في تحقيق هذا المبدأ،يتعادل الجانب الأيمن مع الجانب الأيسر للوحة،ويتحقق ذلك في الكائنات و نسمي formal balance،أما النوع الثاني يكون طرف من أطراف مختلف فهو غير شكلي ويسمى informal balance و هذا يوجد في الفنون العصرية.[1]

فعندما تكون صفات الجمال في العنصر الزخرفي و اختل التوازن في المساحة أو الحجم أصبح غير كامل ،و الشكل يمثل مبدأ التوازن .

[1]- محمد عبد الله الدراسية ،الزخرفةالإسلامية،نفس المرجع،ص45

2-**التشعب**:

هناك من الظواهر الكونية إلي تمثل التشعب حيث الضوء ينبثق من الشمس ،فالعناصر الطبيعية مثل الأشجار تتشعب من جذورها و حتى الجذور من البذرة الموجودة في الأرض فهناك تشعب من خط و نقطة ومن مساحة.

***-التشعب من نقطة:**

يحدث هذا من طاقة كامنة أو شبه كامنة إلا أن تحركت في عدة اتجاهات مشكلة خطوط و أشكال مختلفة ،أو العكس فهذه الأخيرة الخارجة من النقطة تساهم في ترسيخ الاتزان مع نقط أجزاء لهذا الشكل ،ومثال ذلك تفجر زهرة تباع الشمس أو الصبار ....إلخ.

***-التشعب من خط:**

يكون ذلك في بعض أوراق الأشجار ذات التفاصيل الواضحة في معالمها مثل :"التين"نجد تشعبان من خط منتظمة الورقة ومن هذا الخط تخرج تفاصيل لذلك،و أيضا في جسم

الإنسان أشهر ما يمثلها والتشعب مكمن في الشعب الهوائية التي لا غنى عنها مع دقتها و رقتها[1].

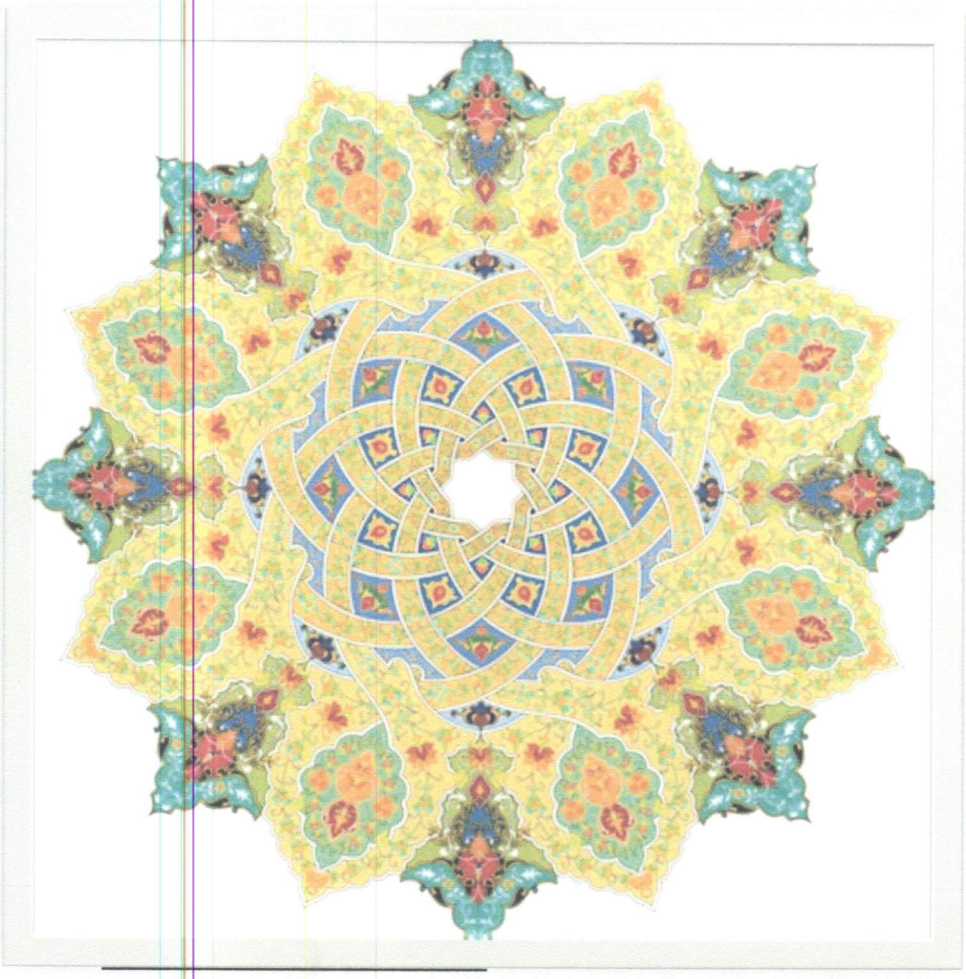

صورة تمثل التشعب من نقطة

[1] محمد حامد جاد،قواعد الزخرفة ،مكتبة المعرفة الجامعية 1986 ،ص235-236

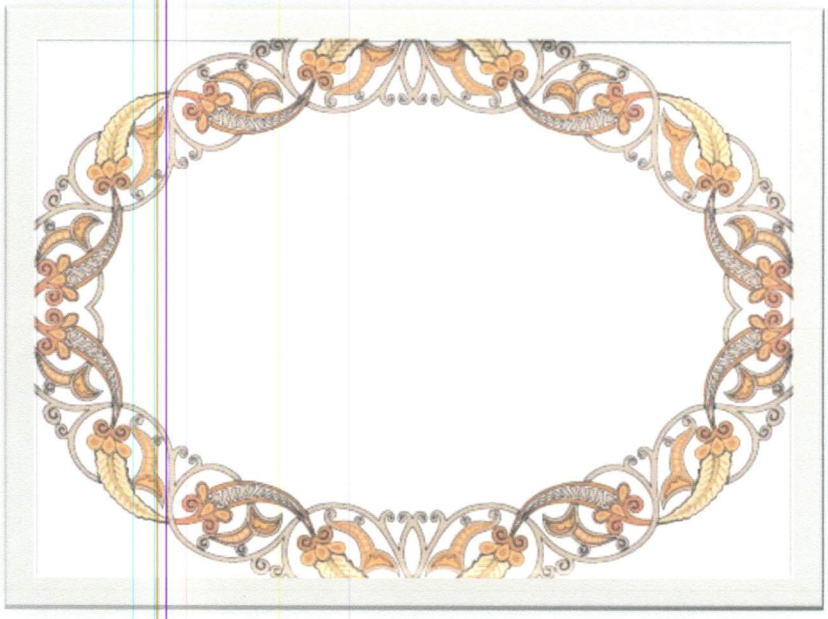

صورة تمثل التشعب من خط

*-التشعب من مساحة:

هو تشعب ينطلق من مساحة كما في راحة اليد و الاخطبوط و اتصال أرجل الحشرات المتعددة بجسمها

3-التماثل :

هو من أهم القواعد التي تقوم عليها بعض التكوينات الزخرفية التي ينطبق نصفها الأول على الثاني ،تماماالانطباق فهو يفيد التسوية و الفرق بينهما و التساوي يعنى التكافؤ في المقدار دون الزيادة أو النقص،فالتماثل يكون فالتماثل يكون إلا للمتفقين فيقال لونه و شكله كلونه و كشكله،فمعناه أن يحل محله أو يقوم مقامه،فهو يحقق أبسط أنواع الاتزان و غالبا ما يكون على نوعين:

*- **التماثل الكلي**:يتضمن التشكيل من تكوينين متشابهين تماما في اتجاه متقابل أو متباين و هذا الشكل يوضح ذلك.

صورة تمثل تماثل كلي

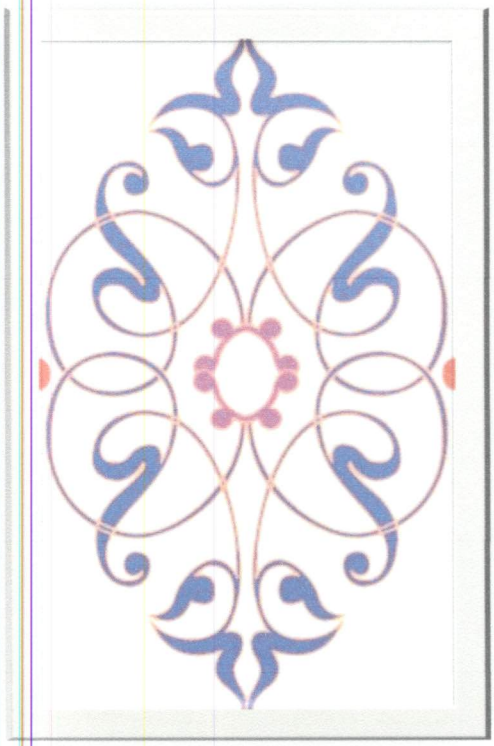

***التماثل النصفي**:

يتضمن التكوينات التي يكمل النصف الأول نصفه الثاني في إتجاه متقابل و أبرز مثال الفراشة كما هي في الشكل الأتي:

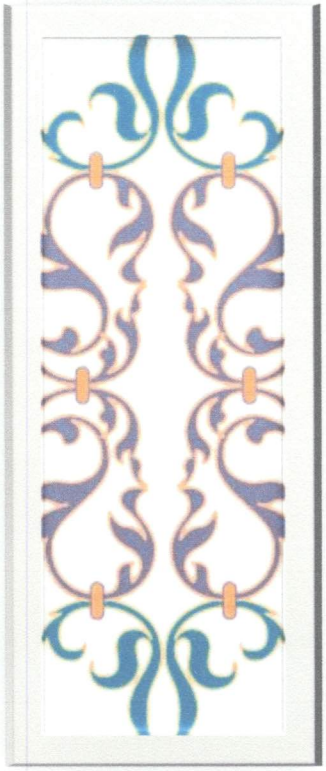

صورة تمثل تماثل نصفها

4-**التبادل** :هذا التغيير أو الاستبدال شيء يغيره أي يأخذ مكانه،وحقيقته التبديل تغيير الصورة إلى في صورة أخرى ،وتكمن الفائدة من التبادل لإيجاد متغيرات ترفع قيمة الزخرفة أو العمل الفني ،ويكون في الشكل و اللون و المساحة و العنصر و هذا الشكل يمثل ذلك.

5-**التكرار** :هو ظاهرة كونية يؤثر فيها الإنسان ،سواء كان رضيعا أ طفلا أو صبيا أو شابا ،حتى يصل إلى أرذل العمر ،فهذا التكرار مع أي واحد منا أو كذلك تعاقب الليل و النهار ،و غيرها من الظواهر الكونية التي ترجمها الإنسان في أعماله و زخارفه.

و التكرار هو إعادة الشيء مرة بعد مرة و هو للتأكيد على عنصر أو شكل أو غير ذلك لأن التكرار يحدث إثارة عند الإنسان و يفيد بربط الأشكال بالرؤية البصرية فيحدث وحدة في بناء العمل الفني،ويؤدي وظيفة التركيز فهو معروف في الحضارات و الفنون السابقة منذ نشأتها و حتى القرن 20،وهو احد الأساليب التي تزيد من ثراء الشكل إلى أن يصل المصمم إلى قيمة جمالية و هو أنواع :

***-التكرار الهندسي:**

هو من أصعب الأساليب التكرارية نسبا لأن العين قادرة على تحسس أي خلل حتى لو كانت غير مدربة ،حيث تظهر الأشكال معوجة فهو يبرز الدقة و المهارة الفائقة و الحساب و القياس و النقل ...إلخ.

***-التكرار المتناوب :**

وفيه تتغير الوحدات الزخرفية رأسيا و أفقيا ...إلخ ،و يتيح للمصمم تغيير الألوان أو الشكل،فهو يأتي أحيانا على الأشكال الدائرية كما يمكن استخدام وحدات هندسية مع أخرى هندسية مختلفة في الشكل.

***-التكرار التام** :يشمل نظام واحد و لون واحد و اتجاه واحدوكل عناصرها واحدة ،حتى في الوضع و لعل عند أبرزها يمثلها الشكل السداسي الذي يمثل بيوت النحل ،فهي ذات شكل واحد و أضلاعها و زواياها واحدة متطابقة و يستخدم هذا في المسحات الكبيرة و الأسطح الممتدة ...إلخ.

***-التكرار المتدرج:**

ينشأ فيه الشكل الواحد صغير ،ثم متوسط على أنه ينمو من الصغر إلى الكبر ،ويستخدم في تدرج المساحات و الإيحاء بالعمق ل مسطح الصورة،ويكثر استخدامه في خلفيات المسرح و النوافذ

-التكرار المتوالد:

تتكاثر فيه الوحدات الزخرفية مع بعضها حتى يحدث بين الكتلة و الفراغ تكافئ و قد يكون هندسيا أو تلقائيا أو كلاهما[1].

[1]عفيف بهنسي ،جمال الفن العربي ،عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأداب ،الكويت 1979،ص 120،

صورة تمثل تكرارات

المبحث الخامس:خصائص الزخرفة الإسلامية

كان لفن الزخرفة الإسلامية خصائص تميزت عن غيره ،وتبرز المظهر الحضاري لنهضة المسلمين،فازدهرت الزخرفة الإسلامية و تطورت سواء في تصميمها و شكلها و إخراجها أو في موضوعاتها و أساليبها و استخدم التقنيون المسلمون خطوطا زخرفية رائعة المظهر و التكويني،و جعلوا من المجموعات الزخرفيةنماذج انطلق فيها خيالهم إلى اللانهاية و التكرار و التحددو التناوب و التشابك،وابتكروا المضلعات النجميةو أشكال التوريق و أشكال التوشح العربي و لايزال هذا النسق العربي في الزخرفة منتشرا في بعض البلدان من بعد ظهوره الأول مرة في الزخرفة الفاطمية الأزهر-و تعد العناصر النباتية و الزخارف الورقية و الهندسية مقومات أساسية في بناء هذا الفن ،فمن خصائص الزخرفة الإسلامية مايلي:[1]

1-العناية بالتجديدو الابتكار و الاعتماد على التطوير المباشر دون النقل

2-البعد عن التقليد،و التصنع في العديد من الأعمال الزخرفية المختلفة في العمارة و المجالات الأخرى.

3-الأصالة في أغلبية الأعمال و هي تعتبر من الأعمال الفطرية لدى الرسام و الفنان المسلم.

4-المبالغة في استعمال الألوان الفطرية دون الدمج بينهما إلا في بعض الحالات القليلة.

5-التأثر الواضح بالعقيدة الإسلامية السمحة ،حيث نلاحظ و الحمد لله عدم وجود الرسوم الزخرفية التي تشمل ذوات الأرواح و عموما الكائنات الحية ،وخاصة في الرسوم التي بداخل المساجد.

---

[1] الموقع الثقافي جامعة تيكريتhttp://tu.edu.iq/culture

6- البعد عن التجسيم ،حيث لا تستهدف الزخرفة الإسلامية البعد الثالث كما هو الحال في بعض الزخارف في الفنون الأخرى،ولكنها تركز على بعد أخر ،وهو البعد أو العمق الوجداني،والذي نشاهده نصفه دائمة تقريبا في زخرفة الأبواب الإسلامية المنتشرة في الكثير من المساجد و القصور القديمة،وأيضا الحديثة

7-بالإضافة غلى أن الفنان المسلم المزخرف تميز بكراهية الفراغ لأنه يميل إلى تغطية

المساحات و لايتلاكها بدون زينة أو زخرفة وهذا ما يلفت النظر في التحف الفنية

و العمائر الإسلامية حيث نجدها مزدحمة بالزخارف المتصلة لبعضها حيث تغطي المساحة كلها.

8-الزخارف المسطحة :فالبروز كان نادرا جدا في الرسوم الإسلامية إذا نصرف الفنانين عن التجسيم برسوم مسطحة و لكن التلوين خفف من هذا النقص.

9-البعد عن الطبيعة صور الفنان الأشياء كما صورها خياله و لم يمثل الطبيعة لأنه كان مبعته نفور المسلمين عن تقليد الخالق.

10-التكرار كان وسيلة مهمة و بارزة للفنان المسلم لكي يتغلب عن الفراغ و هذا مانراه في مختلف الأعمار[1].

[1]-الموقع الثقافي ، جامعة تكريت،

المبحث السادس:الزخرفة الإسلامية في المساجد

لقد كان المسلمون منشغلين بنشر تعاليم الدين الإسلامي السمحاء،مضيفا إليها حال الخلفاء الراشدين ،فلم يهتموا بتجميل مساجدهم أو دور عبادتهم بالزخرفة و كانت أماكنهم متواضعة بنشر الدعوة الإسلامية في بلاد العربية و بلاد العالم.

و ظهر اهتمام الأكبر في الزخرفة في العصر الأموي ،و تبينت معالمها على جدران المساجد و القصور التي بناها الخلفاء الأمويون و العباسيون شيدوا فيها المساجد و القصور و خير دليل على ذلك (محراب جامع الخاصلي) الذي شيده الخليفة أبو جعفر المنصور[1]

إن الفنان المسلم لم يقف في اختياره لفن الزخرفة الإسلامية و توظيفها في كل شيء يريد تزيينه الإطار الوجودي و احتياجاته،بل لتستمد الأشياء الجميلة جمالها ،وبدون هذا الفن الجميل لا يمكن الوصول إلى معرفة الجميل فالمتأمل للزخرفة في المساجد ليس إعجابا بها ،بل لأنها تدل على جمال الحقيقة الإلهية و تنتشر إليه [2]

إن التشكيل الفن الذي يتجلى بالزخرفة العربية الإسلامية لم يكن مجرد تزيين بل كان تمثيلا لملكوت الخالق ،فهو أية فنية و دينية في الوقت نفسه ،ولطالما وجد المتأمل للزخارف في المساجد ،فهي يغير عن العبادة ،فضلا عن تعبيرها عن الإبداع[3]

فالزخرفة الإسلامية في المساجد ضمنها الفنان المسلم رموزا فنية فالرموز الفنية لهذه الزخرفة التي أثرت في النفس البشرية بما فيه من قيم جمالية في المادة التي تكون الرمز الفني ،سواء كانت لحن،أم لفظ

لقد كان السعي وراء إيجاد نسق زخرفي يتلاءم مع السكينة النفسية للمتلقي المستوحاة من خلال إبداعات الفنون الإسلامية وكذا حرص الفنان المسلم في مختلف التقنيات عند اشتغاله،

غلى تطويع مواده بما يتلاءم مع الرؤية العامة للإطار البنيوي لما يبدعه ،والمتمثل في العمل غلى بلورة صور الجمال الظاهري للقطعة لتكون نفق العبور بالتأمل إلى الإحساس .

---

[1] الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي ،تاريخ بغداد، مطبعة السعادة ،الجزء الأول 1931،ص32

[2] أميرة حلمي ،فلسفة الجمال ،المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة ،القاهرة 1962،ص47

[3] غفيفبهنسي ،جمالية الفن العربي، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأداب، 1979،ص99

بالجمال الباطني بين ثنايا نفسه ،حتى تتلبسه مشاعر الجلال الجمالي ،فجماليات المكان أو القطعة (التحفة) ضمن هذا المكان ماهي إلا نتيجة لاحتدام قوى داخلية في نفس المبدع من ظاهرها دنيوي ،وظيفي ،فالمسجد كما قلنا للصلاة و القبة حل هندسي لإيجد الفضاء الواسع،الأرابيسك عنصر تكسبه تزييني ،كل هذه تزييني ،كل هذه أسباب ظاهرية سهل على المتلقي معرفتها دون إمعان فكر أو تأمل و باطنها أخروي (تعبدي) فجمالية عمارة المسجد تحيل إلى الإحساس بالسكينة الروحية ،والتأمل في القبة يدفعك للتفكير في الملكوت الأعلى ،وما عناصر الأرابيسك إلا إسقاطات لأفعال تعبدية،فالزخارف النباتية بلطفها وبلينها وشبابها رحمة،و الزخارف الهندسية ييبسها و قوتها ،حق و رهبة،والخط بالجمع بين الانسيابية و القوة حكمة [1]

كما تتمثل جماليات الزخرفة الإسلامية في المساجد بمايلي:

1-**المقرصنات** :

وهي تشبه خلايا النحل، يتدلى بعضها فوق بعض من السقوف أو الزوايا أو الواجهات العمائر أو الأقواس أو أسفل أحواض المؤذن.

2-**القباب**:

وهي ذات أشكال عديدة منها (بيضوية،وبصلبة،ونصف كروية) وكانت سطوحها تزين بالقشاني ولاسيما الأخضر منه،وقد أطلق على أكثر القباب ،اسم الخضراء كخضراء معاوية في دمشق،وخضراء الحجاج في أوسط و خضراء المنصور في مدينة بغداد المدورة.

[1] جواد محمد مصباحي ،التكرار و التماثل في الفنون الزخرفية الإسلامية ،كلية الفنون الإسلامية –جامعة البلقاء التطبيقية –السلط،الأردن 2007ص20-22

-شرفات الأبنية:

تكون أشبه بأسنان المنشار،وأصلها عراقي كما في المباني البابلية،والأشورية.[1]

4-الأقواس و العقود:

استعملت في المباني العربية و هي على أنواع،القوس المستدير ،وعلى هيئة حدوة الفرس،وكانوا يستعملون الأقواس ذات الفصوص (أي متعددة الأقواس)و قد استعملت في قصر العاشق في سامراء (القرن الثالث الهجري)،والمتعددة الأقواس في قرطبة.

5-المؤذن:

وهي على أنواع:

*الحلزونية: كالملوية في سامراء،وجامع أبي دلف ،وجامع أحمدبن طولون في مصر

*المضلعة:كما في مؤذن شمال إفريقيا.

*الأسطوانية:كما في مؤذن العراق و تركيا و الهند و إيران.

6-الشبابيك:

كانت تستعمل من الخشب المعشق أو الحص أو بطريقة التخزيم،وتزيين الشبابيك أو الشرفات بالزجاج الملون،فتكسبها جمالا بديعا،وكانت تستعمل فيها الزخارف الهندسية المختلفة ،و قد برع الفنان المسلم في الحفر على الخشبو المرمر،وأظهر إبداعه في محاريبالمساجد و الأبواب و الآثار و المنابر و الأضرحة المقدسة، فضلا عن استعمالها على العمائر الإسلامية المختلفة.[2]

فالفنان المسلم و بكل طاقته الفكرية و الجمالية لبيان جمالية الخط الكوفي و الزخرفة الإسلامية ،وجعلها سيرالناظر الملتقى و الفنان الناقد و استخدامها في الرسم العديد من الأشكال و اللوحات ،بعد أن حورها و أضاف عليها أشكالا،استنبطها من خلال نظرته للشكل الأصلي في جميع الجهات.[3]

---

[1] خالد حسين، الزخرفة في الفنون الإسلامية ،مطبعةأوفيست الوسام بغداد 1983-ص48

[2] خالد حسين ،المصدر السابق ص49-93

[3] محمد حامد جاد،قواعد الزخرفة ،مكتبة المعرفة الجامعية،عمان، 1986،ص233

خلاصة الفصل:

وأخيرا وبعد كل هذه الجولة البحثية الموجزة عن الزخرفة الإسلامية في المساجد،ودورها الحضاري بالنسبة للفن الإسلامي،فان الزخرفة هي سجل لمراحل تطور الإبداعالإنساني في مجال الجمال الذي ازداد بريقا ولمعانا، فما أضافإليه من خصائص فنية اصطبغت بروح الإسلام،تلك الروح التي جمعت حضارات مختلفة انسجمت في ظل الإسلام، فأعطتإنتاجا فنيا كبيرا كان دائما قادرا على مضاهاة غيره من الفنون، كما أن من ابرز العمليات الفنية في الزخرفة الإسلامية :التجصيص،القرنصة،التصفيح...الخ،ومن ابرز المواد المستخدمة فيها:الرخام-الجص-الخشب-المعادن-الأجر-الخزف- الفسيفساء،فاهتم المسلم بالزخرفة الإسلامية اهتماما بالغا حيث كانت زخارف تزين القصور والأثاث و الجدران ،ونظرا لاتساع الرقعة التي انتشرت عليها الحضارة فقد اختلفت الوحدات الزخرفية في هذه الدول فاختلفت ميزاتها حسب كل زخرفة.

كما أن وظيفة الفن هي صنع الجمال والزخرفة الإسلامية واحدة من الوسائل المهمة التي تصنع الجمال، وهذاما يوضح لنا السر في تبوئها مكان الصدارة بين الفنون الإسلاميةالأخرى، فهي العمل الذي لا يقصد به إلا صنع الجمال وهنا يلتقي شكل العمل الفني بمضمونه ليكونا وحدة متماسكة لصنع الجمال ظاهرا أو باطنا ، الأمر الذي لا نكاد نحده في أي نوع أخر من الفنون.فالفنون الإسلامية هي التي نشأت وازدهرت في البلاد التي اتخذ أهلها الإسلام دينا،فللزخرفة الإسلامية دور في المسجد الذي جعله الله مباركا والبركة هي الخير الكثيربما فيه المنافع و المصالح للناس ، كما تفنن المسلمون في بنائه وأضافوا الزخرفة في كل جانب من جوانبه وذلك قصد أن يكون المصلون في راحة ، وأصبحت معالم واضحة لعدد من المدن الإسلامية ، ومن بين المساجد التي زينت بزخارف وكانت لها مكانة فيها هي: المسجد الحرام بمكة المكرمة والمدينة المنورة ...كما تتزين المدن الإسلامية في العالم بالمساجد التي صممت وفق احدث وأرقىالأساليب المعمارية أن تجمع بين الزخرفة الإسلامية ، وتراث البلد التي أنشئت فيه.

الفصل الثاني

دراسة ميدانية للجامع الكبير تلمسان

تمهيد:

إن ولاية تلمسان (الجزائر) لقبت بلؤلؤة المغرب فهي عاصمة العرب،فهي مدينة من حيث الأهمية فخورة بماضيها و تراثها المجيد و المزدهر ،ذات المعالم الأندلسية المتأصلة في المغرب الإسلامي وصاحبة المواقع الطبيعية الخلابة ،هي "مدينة الفن و التاريخ" كما كان جورج مارصي يسميها وبكثرة ما فيها من المباني الفنية الرائعة الخالدة، وبماضيها الفكري الثقافي و السياسي المجيد،فقد تضافرت جهود الطبيعة السخبة الحسناء و جهود الإنسان المبدع لتكوين مدينة متفوقة راقية واستحقت أن تدعى بجوهرة المغرب و غرناطة إفريقيا ،كما تقع المدينة داخل مزارع الكروم و الزيتون ،كما تشتهر بصناعة الجلود و الزرابي و صناعة المنسوجات ،وجعلت منها كل هاته التأثيرات تتربع على الجزائر قمة المناطق السياحية .

-كما شكلت تلمسان منذ الأزل المحور الأساسي الذي كانت تقوم حوله الدول الإسلامية المتتالية، التي نشأت عبر مراحل مختلفة في منطقة المغرب الإسلامي قاطبة،و في المغرب الأوسط (الجزائر) على وجه الخصوص وكان لابد لهذه المدينة العظيمة من أن تتأثر بالفنون المختلفة التي كانت وليدة الحضارة الناشئة وتؤثر فيها.

فتلمسان لم تكن مدينة علم ومعرفة فحسب،بل كانت و لاتزال أيضا مدينة فنون بكل ما تحمل هذه الفنون من أنواع و أصناف ومن بينها طبعا فن المعمار الإسلامي الذي شكل إحدى مقومات الفن التلمساني الأصيل ،ويعود ذلك لأسباب كثيرة منها موقع تلمسان الإستراتيجي و التاريخي ،الذي جعلها في قلب المغرب العربي،وذلك الموقع الممتاز الذي منح المدينة ميزة خاصة بين مدن المنطقة ، فجعل منها مهدا لقيام دول متعاقبة منذ العهود الأولى للخلافة الإسلامية ،إلى غاية العهد العثماني، وكان لتلمسان دائما الدور الأساسي و الأهم في نشأة تلك الدول ،سواء بطريقة مباشرة كأن تكون عاصمة لها أو غير مباشرة لكونها حظيرة لا يمكن تجاوزها و الاستغناء عنها ،ناهيك عن إتصالها العضوي لكبريات المدن الأندلسية ،فمدينة تلمسان بفنها و ما يقتضيه من زخارف و منمنمات صارت فيما بعد

من أهم الخصوصيات الفنية لمدينة تلمسان ،فلا غرابة أن يتقاطع فن الزخرفة في فن المعمار بتلمسان مع مدن مغاربية عظيمة.

المبحث الأول:نبذة تاريخية عن الجامع الكبير

*الإسم:المسجد الكبير بتلمسان

*دولة الإنشاء:الجزائر بمدينة تلمسان

إسم المنشئ:علي بن يوسف بن تاشفين.

*حقبة /سنة الإنشاء:1136م/530ه،الصومعة 1236.

*مستلزمات الإنشاء:الحجارة.

*الديكور المعماري:من الرخام،الأجور ،الزليج،الخشب ،الجبس.

*المساحة:المسجد 60*50 قاعة الصلاة30،الصومعة 49*25م، العلو 29.15م

إحداثيات جغرافية :34،54 شمالا و 1.19 غربا

*تعداد المصلين :بضعة ألاف.

* عدد المئذنات :واحدة طولها 29.15م

* عبارة التأسيس:بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد و على أله وسلم هذا عما أمر بعمله الأمير الأجل أيده الله و أعز نصره و أدام دولته،وكان إتمامه على يد الفقيه الأجا القاضي الأوصل أبي الحسن علي بن عبد الرحمان إبن علي أدام الله عزهم في شهر جمادى الأخير عام530[1].

[1]رشيد بورويبة الفن الديني الاسلامي بالجزائر،الجزائر(SNED)ط1 ،1983 ،ص12

التعريف بالمسجد الكبير تلمسان

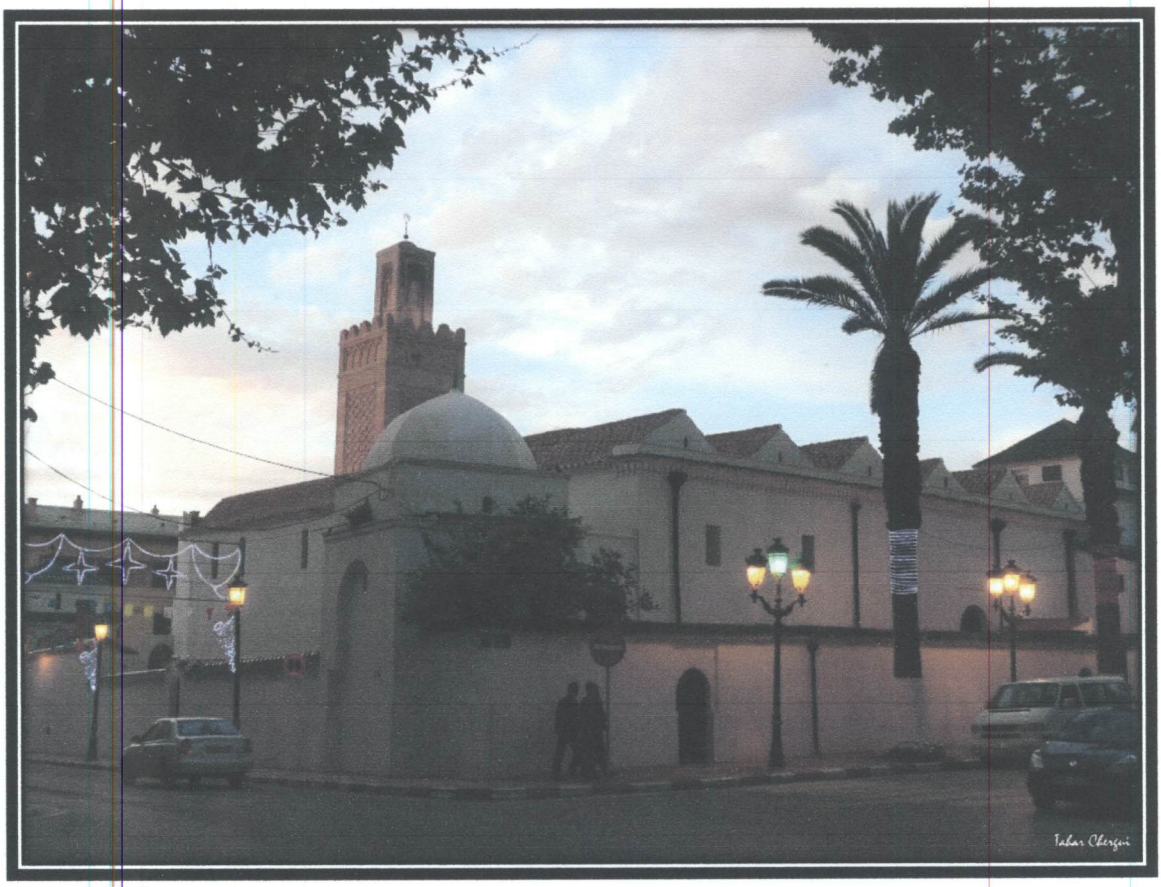

يعد هذا الجامع من أهم المساجد التي أنشأها المرابطون في المغرب الأوسط (الجزائر حاليا) بناه علي بن يوسف بن تاشفين ،حسب ما ورد في النقش التأسيسي الذي يحيط برقبة المحراب بالجامع ،تعرض الكبير منذ تأسيسه إلى بعض التعديلات و الزيادات في عمارة الأولى ،ففي عهد الموحدين ورثه المرابطين شهد الجامع تعديلات مست واجهته الرئيسية تمثلت في إضافة بابين على جانب محراب المسجد ،الباب الأول يقع على يمين المحراب و يؤدي إلى غرفة الأمام ،ويعتقد أيضا أن الأبواب الثلاثة التي تقع بالجدار الشرقي للجامع ،والعقد المقصص الذي يتوسط جدار بيت الصلاة المطل على صحن الجامع من عمل الموحدين .

أما في العهد الزياني فقد أدى إختيارهم لمدينة تلمسان كحاضرة لدولتهم تزايد عدد السكان بها،و قد أدى هذا إلى إكتظاظ الجامع بالمصلين،الأمر الذي جعل الأمير يغمراسن بن زيان يأمر بالإضافة بلاطين إلى المجنبة الغربية من الصحن و على حساب مساحته.[1]

بالإضافة إلى ذلك أقام الأمير مئذنة للجامع على نظام مأذن جامع الجزائر الكبير و جامع ندرومة و أغادير نظرا إلى افتقاره إلى مئذنة منذ نشأته الأولى أما الضريح الذي يشغل الركن الجنوبي من بيت الصلاة هو للشيخ محمد بن مرزوق ،ويعتقد أنه أضيف إلى المسجد في عهد الأمير يغمراسن أيضا.

و قد شهد عهد أبي حمو موسى الثاني ،إضافة خزانة كتب إلى الجامع سنة 760ه/1359م كما أضيف في عهد الله الأمير أبو زيان بن أبي حمو خزانة كتب أخرى تقع في مؤخر المسجد وقد تعرض المسجد منذ القرن التاسع الهجري الموافق للرابع عشر ميلادي إلى بعض الترميمات غير أنه لم يعثر على أدلة مادية أو نصوص تاريخية تحدد تاريخ هذه الأعمال.

[1] عبد الملك عيساوي فن الزخرفة في العمارة الإسلامية بتلمسان (المساجد و المدارس) ،دار السبيل،تلمسان ط1،2011م ص24

المبحث الثاني:النظام التخطيطي للجامع الكبير(تلمسان).

يتخذ المسجد شكلا يميل إلى الإستطالة ،تبلغ أبعاده حوالي(60م)ستون متر و (50م) و خمسون مترا،و ينحرف هذا المستطيل قليلا إلى الداخل من الجهة الغربية و المساحة على على شكل مثلث قائم الزاوية ،لأن هذه المساحة كان يشغلها قصر الإمارة ،الذي أنشأه "يوسف بن تاشفين"وسكنه من بعده بعض الأمراء المرابطين ودولة الموحدين إلى أن هجره "يغمراسن بن زيان" حينما تنقل إلى قصر المشور الذي شيده على بعد خطوات من المسجد الجامع.

يتوسط جامع تلمسان صحن مربع الشكل ،ينحرف قليلا إلى جهة الشرق وتكتنفه من الجهتين الشرقية و الغربية مجنبتان ،تشمل الأولى على ثلاث(3) بلاطات ،وهذه البلاطات هي إمتداد لبيت الصلاة ،كما يتقدم الصحن بين الصلاة و يقابل من الجهة الشمالية مؤخر الجامع ،ويتكون من أربعة أساكيب تمتد عرضيا بموازاة جدار القبلة و يشغل الأسكوب الثاني من مؤخر الجامع و على محور المحراب مئذنة مربعة القاعدة أضيفت إلى المسجد في عصر بني زيان.

يشبه التخطيط جامع تلمسان إلى حد كبير تخطيط جامع قرطبة و كلاهما يشبه تخطيط المسجد الجامع بالقيروان من حيث إتجاه البلاطات،إلا إن النظام التخطيطي لبيت الصلاة بجامع تلمسان جاء تقليدا مباشرا بجامع قرطبة، وقد قلد علماء الجامع الكبير تلمسان صفوف الدعائم المتبقية من الجدار القبلي لمسجد عبد الرحمان الداخل و مسجد عبد الرحمان الأوسط بعد زيادته الثانية[1].

*بيت الصلاة:

يتخذ بيت الصلاة شكلا مستطيلا يبلغ طوله من الشرق إلى الغرب 49.30م أما عمقه فيقدر ب 24.90م يمتد وسطه و بالاتجاه العرضي من الشرق إلى الغرب صف من العقود يقسمه إلى قسمين متساويين [2] و يتكون بيت الصلاة من (13) ثلاثة عشر بلاطة عمودية على جدار القبلة،يفصل بينهما إثنى عشر صفا من الدعامات تتجه من الشمال إلى الجنوب ،و يتكى عليها عقود نصف دائرية.

[1] عبد العزيز فراح،كتاب تلمسان المدينة المحراب،تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011،ص 79-78
[2] أحمد فكري ،في العمارة و النحت الفنية،مركز المطبوعات اليونسكو،القاهرة،2000 ص59

الذين إنتقدهم المرابطون في القرن الخامس الهجري (الحادي عشرة ميلادي)و يتوج أعلى حنية المحراب طاقية على شكل قبيبة،أما بقية التجويف تتخلل حشوات من تشبيكات مستطيلة الشكل.

***قبيبة المحراب:**

هي قبيلة مفصلة تتألف من 16 (ستة عشر) فصا مضلعا عل غرار قبتي جامع القيروان اللتين تمثلان المرحلة الأولى من القباب المفصصة في تاريخ العمارة الإسلامية في بلاد المغرب و الأندلس.[1]

وجدير بالذكر أن القبة التي تتقدم المحراب بجامع قرطبة ،توجد أيضا قبة صغيرة مكونة من ستة فصوص،وعلى مثل هذا النمط من القبيبات المفصصة أقيمت قبيبة مصلى قصر الجعفرية بسرقسطة،ون المحمل أن تكون فكرة إنشاء قبيبة هذا المحراب بهذا الشكل مستوحاة من القباب ،والقبيبات الأندلسية ،خاصة إذا علمنا الكم المائل من التأثيرات الأندلسية التي تدفقت على المغربفي عصر المرابطين وما إستخدم في مساجد هذا العصر هو تطبيق لفكرة القبيبات المفصصة على قبيبات المحاريب على قبيبات المحاريب المغربين الأوسط و الأقصى في عهد المرابطين ،حيث نراها مائلة في جامع القيروين بفاس[2]

*الحشوات المشبكة:

يدور بأدنى القبيبة السالفة الذكر شريط بثمن الضلوع،تزيين حليات زخرفية و يلي أدناه خمس حشوات جصية مستطيلة الشكل الكبيرتان مزخرفة أما الثلاثة الباقية فهي عبارة عن نوافد مشبكة و الجدير بالذكر أن المرابطين ليسوا أول من إستخدم هذا النظام من النوافد المشبكة ،بل يرجع تاريخ ظهورها في المشرق إلى القرن الأول الهجري ،ويتمثل ذلك في الجامع الأموي بدمشق،كما ظهرت في الجامع الطولوني بالقاهرة ،بهدف إدخال الضوء و التهوية إلى حوف الصلاة [3].

---

[1]MAR CAIS (cr) ARCHITECTEUR MOUSLEMANE D'OCCIDENT. P168.166
[2]السيد عبد العزيز سالم ،روائع الأثار الإسلامية بجمهورية الجزائر مجلة المحلة العدد 19،1959،ص 31
[3]أحمد فكري المرجع السابق (المدخل)ص 114

حذوية على شكل(على شكل حذوة الفرس) يبلغ عرض هذه البلاطات 320م ماعدا البلاطة الوسطى التي تتميز بزيادة إتساعها عن بقية البلاطات ،كما في جامع الجزائر و ندرومة ،يبلغ عرضها 4.60م ،وتتميز باحتواءها على قبتين ،الأولى تتقدم المحراب و ترجع إلى عهد الأمير "يونس بن تاشفين " وهي من طراز القباب القائمة على الضلوع البارزة المتقاطعة فيما بينها ،والثانية تغطي المساحة المربعة التي يحددها تقاطع البلطة الوسطى بالأسكوب الرابع من بيت الصلاة و قد قام بناءها الأمير "يغمراسن بن زيان"فبيت الصلاة مغطاة بسقف من القرميد ،والمفروشة أرضها بالزرابي خصصت لإستقبال المؤمنين للصلاة في كل الفصول منظمين في صفوف طويلة وراء الأمام.

***المحراب:**

محراب جامع تلمسان من المحاريب المجوفة التي ترجع فكرتها في العصر الإسلامي بالمغرب إلى جامع القيروان ،ويتوسط هذا المحراب واجهة جدار القبلة بحيث يقع على محور البلاطة الوسطى ،و ينفتح على يمينه بابا يؤدي إلى الغرفة التي يحفظ فيها المنبر ،ويسار باب أخر ،يغطي إلى غرفة الأمام ،وهذا المحراب يشبه كثيرا محراب جامع قرطبة من حيث الزخرفة[1].

وصل إلينا هذا المحراب في حالته الأصلية بخلاف محاريب جامع الجزائر و ندرومة،إلا أنهما فقدا قيمتهما الأثرية و لم يبقى سوى محراب جامع تلمسان و يعتبر هذا المحراب عنصرا من عناصر العمارة بالمسجد حيث تشكل واجهته وحدة زخرفية متكاملة ،تشبه إلى حد كبير واجهة باب "سان استان" بجامع قرطبة ،ويتخذ محراب جامع تلمسان شكل حنية كبيرة معقودة بعقد متعددة الفصوص ،يتوسط جدار القبلة ،و يقع هذا المحراب على وجه التحديد على محور البلاطة الوسطى في بيت الصلاة،ويتكون من واجهة خارجية و حنية مضلعة [2].

[1]السيد عبد العزيز سالم،حاضرة الخلافة في الأندلس ،قرطبة ،1987 دارالنشر التل 2004-البليدة الجزائر ،ص26
[2]جورج مارسي ،كتاب مدن الفن الشهيرة تلمسان طبعة جديدة 1950،دار النشر ،الجزء الثاني ص59

***واجهة المحراب:**

يتوج واجهة المحراب عقد متجاوز من نوع حذوة القرس يدور بحافته عقد

زخرفي مفصص ينبع بنفس الأسلوب الأندلسي في تنميق المحاريب ،ويعتبر هذا الأسلوب من التأثيرات الأندلسية الوافدة إلى بلاد المغرب على أيدي الفنانين و الصناع الأندلسيين و إذا كانت وظيفة هذه النوافد هذه المساجد المعمارية بحتة فإنها إستعملت في جامع تلمسان كحليات زخرفية ،فإذا كانت فكرة هذه الستائر المخرمة ،قد نشأت في الجامع الأموي بدمشق،فإن الفضل في إدخال هذا العنصر المعماري في محاريب المساجد يرجع إلى المرابطين بل إن فكرة المحاريب ذات الكسوات الزخرفية بقرطبة ظهرت بجامع القيروان و إبراهيم بن الأغلب بكسوة من شبيكات زخرفية [1].

[1] ويليام و جورج مارسي المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان تر:مراد بلعيد و علي محمد،دار الأصالة للنشر و التوزيع،الجزائر،ط1 2010 ص 175-176

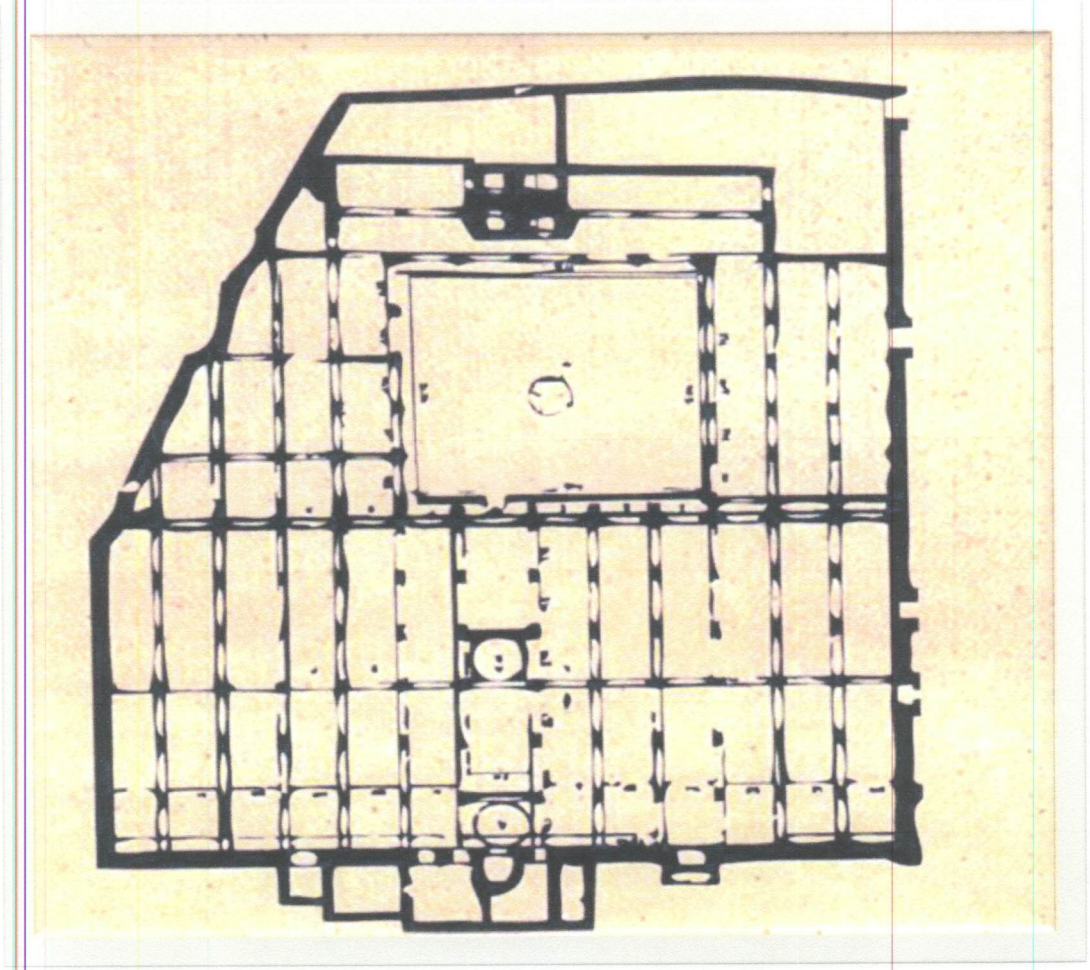

تصميم تخطيطي للجامع الكبير بتلمسان

المبحث الثالث:أنواعالعناصر الزخرفية المسجدية بالجامع الكبير تلمسان

إهتم المرابطين في جامع تلمسان بزخرفة المحراب ،كما أمرهم في تزيين القبة التى تتقدمه بزخارف بلغت الغاية في الثراء الزخرفي ،والجمال الفني من حيث التناسق بين العناصر الزخرفية و التوازن في التوزيع و في إستخدام الألوان ،الأمر الذي جعل من المحراب و قبته تحفتين رائعتين تضاهيان في جمالهما أروع الزخارف المغربية الأندلسية ،وقد بالغ الفنانون في تنمية هذين العنصرين إلى حد التعقيد ،واتبعوا في تنفيدها الطريقة المعروفة بالمغرب بنقشة جديدة ،ويستخلص من هذه العبارة :أن هذه الزخارف تتم بواسطة ألة حديدية أو بطريقة القوالب التي إشتهرإستعمالها في طراز سمراء الثالث [1]

ومن الجدير بالذكر أن الفنان المرابطي لم يقتصر غلى الجص في زخارفه بل تجاوزه إلى الخشب ،ويتمثل ذلك في أسقف الجامع الكبير ،التي ظهرت بنصيب من اهتماما ته الزخرفية،وقد جمع فيها بين العناصر النباتية والكتابية و الهندسية،نقشها في مساحات معينة ،كزخارف واجهة المحراب التي تشكل وحدة متكاملة تشبه الأبواب الجانبية لجامع قرطبة ،وفي هذا السياق يرر مارسي أن زخارف جامع تلمسان لاتمت بأي صلة للزخارف الإسلامية لأثار الغراق ،ولا لزخارف جامع سيدي عقبة بالقيروان ولا إلى أسلوب الزخرفة البربرية الأولى ،ولكنها أقرب إلى الزخرفة الأندلسية في العصر الأموي[2]

كما يشبه تخطيط هذا الجامع العتيق جامع قرطبة بالذات تخطيطا و تنميقا[3].

أ/الزخارف النباتية :

إستعمل الفنان المرابطي في تزيين الجامع الكبير تلمسان نقش العناصر الزخرفية التي رأيناها في جامع تلمسان،وتشمل هذه العناصر في سيقان النباتية مثل :النخيل وورقة الأكانش،بالإضافة إلى بعض العناصر النباتية وسوف نحاول أن نوضحها فيمايلي:

*سيقان نباتية :مثل القاعدة التي تساهم في تغطية المسطحات و ذلك بتزيينها و هي نوعان:

---

[1]محمد عبد العزيز مرزوق ،الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب و الأندلسن دار النشر،القاهرة،2003 ص58

[2]الدكتور مبارك بوطارن،العمائر الدينية في المغرب الأوسطمؤسسة كنوز الحكمة،الجزائر 2011 ص122

[3]السيد عبد العزيز سالم،تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص644

أ-الساق البسيطة:

إقتصر هذا النوع من الزخارف على المسطحة الجصية المتمثلة في قبة المحراب و في عقود البلطة الوسطى ،وهي ساق تمتد وسط الزخارف فتتفرغ على جانبها أغصان تزينها من حين لأخر أشكال هندسية عبارة عن دوائر ،وتتخلل هذه الدوائر تارة نقاط في مركزها و مرة أخرى تنقسم هذه الدوائر إلى أربعة أقسام متساوية عن طريق تقاطع قطري للدائرة،كما تعلو هذه الدوائر أحيانا على نفس الساق وريقات نباتية و أحيانا أشكالا هندسية تتمثل في مسطحات مقلوبة الرؤوس.

ب-الساق المعقدة التركيب:

ينحصر هذا النوع من الساق في الشريط الثاني للمحراب و الحشوات المحرمة لقبة المحراب،وفيكوابيل سقف الجامع ،هذا النوع من السيقان متنوع في صورة حيث نجد الساق الحلزونية التي تتخد شكل (×)اللاتيني و الشكل الحلزوني الذي يتكون من ساقين متضافرتين تنتهيان بقصين متماثلين إلى غيره من أشكال السيقان المدرف،وشكل هذه السيقان التي تمثل في الحقيقة قاعدة الأوراق النباتية مساحات هندسية من أيضاف دوائر و مثلثات و مضلعات تتفاوت في عدد أضلاعها حيث تختلف أشكال السيقان من مساحة لأخرى[1].

كما أن الأساكيب الموجودة في الجامع غطيت بهيكل خشبي ،إعتمدت روافده على عوارضه التي نقش عليها زخرف نباتي جميل و المغتزل الملوية إلى ملأتها زينة مشبكة بعناصر زخرفية نباتية ،وكذلك أيضا تاج الإفريز كما أن هناك ثلاث شمسيات في منتهى الروعة إستعملت لتزيين محراب المسجد ،وهي تتألف من زخارف نباتية و ثمار تتناثر و تتقاطع بشكل دقيق و مدروس ،والجدير بالملحظة أنها تخلو من التناظر و الوحدة الزخرفية ،الشيء الذي أضفى عليها رونقا وجمالا لامثيل لهما
رغم صعوبة إنجازها.

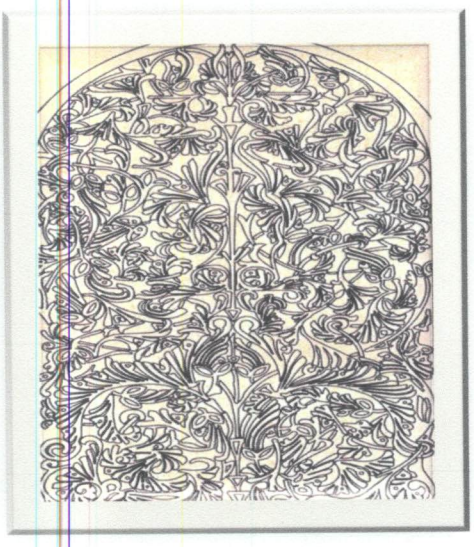

صورةتمثل شمسية1

[1]الدكتور مبارك بوطارن،العمائر الدينية في المغرب الأوسط،مؤسسة كنوز الحكمة للنشر، الجزائر 2011،ص122-123

وهناك زخارف نباتية رائعة تشكل لوحة فنية محاطة بزخرفة هندسية بسيطة على الجانب الأيسر من المحراب،وأخرى بأعلى المحراب إستعمل الفنان أو المزخرف المرابطي فيها التناظر و الوحدة الزخرفية[1].

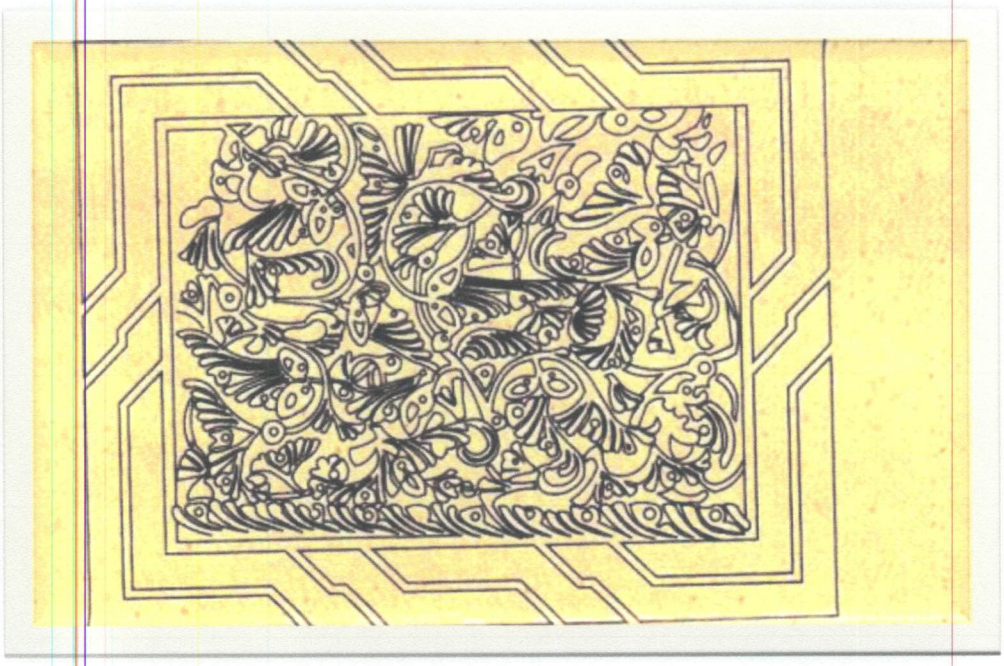

صورة الجانب الايسر المحراب)

أيضا القبة الوسطى من جانب المحراب فإنها مزخرفة بتخاريم عريضة كلها لمعناها(2).

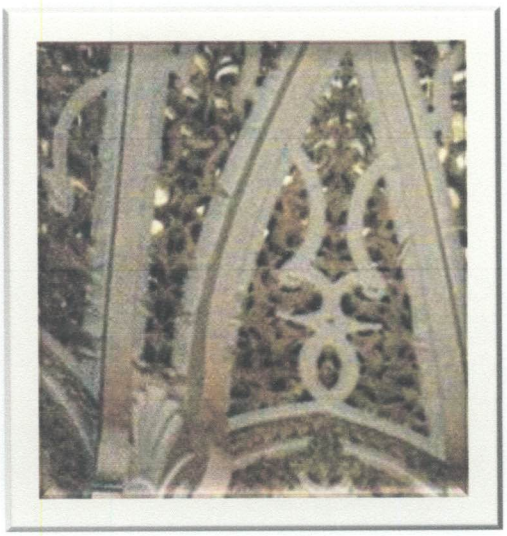

صورة القبة اليسرى جانب المحراب

[1]الدكتور عبد المالك عيساوي،نفس المرجع السابق،ص34

كذلك استعمل في العناصر الزخرفية الموجودة بالجامع الكبير بتلمسان.

الأوراق النباتية:

إذا كان فنان عصر المرابطين قد نوع في السيقان النباتية ،فإنه أيضا رسم المروحة النحيلية بأشكال مختلفة،كما أنه لم يقتصر في هذا الأوراق النباتية التي شاع إستخدامها في ذلك العصر ،بل وظف ورقة الأكناش القديمة إلى جانب العناصر النباتية المحورة عن الطبيعة بأسلوب زخرفي.

المروحة النخيلية:

ظهرت في التوريقات الزخرفية رفيعة متناهية الإتقان إما تكون ملساء أو مشرشرة.

الورقة الملساء:

هي التي تتميز بحافتها الملساء و المسننة ،وهي أوراق مزدوجة تنطلق من نقطة واحدة ثم تتفرع على الجانبين في شكل قوسين دائريين أو يشغل هذا النوع من المراوح النخيلية المساحات الدنيا لقبة المحراب و العقود التي تقوم عليها.

الورقة المشرشرة:

و فيها عدة أنواع منها :الورقة ذات الأسنان المتساوية و تتميز بانفصال أسنانها السفلى أحيانا عن بقية الأسنان ،وبوجود فتحة في قاعدتها مثل:المروحة ثلاثية الأسنان و التي تكون قاعدتها من فص أو ورقتين صغيرتين إلى غير ذلك من الأشكال[1]

كما أننا يلاحظ من خلال كل هذا و من خلال الصور أن الزخارف النباتية مستعملة في تزيين واجهة كل من المحراب و القبة و الشمسيات ،مما يدل على أن المرابطين إهتموا كثيرا بالزخرفة النباتية ،وإستلهموا هذه الزخرفة من نبتة الأكناش الموجودة في البحر الأبيض المتوسط[2].

---

[1]-د.مباركبوطارن ،نفس المرجع السابق ،ص124

[2]الدكتور عبد المالك عيساوي،نفس المرجع السابق،ص34

الزخارف الخطية :

*النقوش الكتابية:

إستعمل المرابطون الخطين النسخي و الكوفي في نقش النصوص الكتابية في الجامع الكبير تلمسان ،وإن كان الخط النسخي لم يستعمل إلا مرة واحدة في الكتابة التأسسية للجامع الكبير.

بينما نقشت بقية الكتابات سواء على الخشب أو عل الجص بالخط الكوفي و يمكننا أن نقسم مجموعة النقوش في جامع تلمسان من حيث محتواها إل نوعين:

أ/النقوش التذكارية:تخلد ذكرى تأسيس جامع الكبير و الأعمال التى ألحقت به بتعاقب العهود

ب/النقوش الزخرفية :وتزين وواجهة المحراب و هي نقوش سجلت بكتابات زخرفية تتماشى مع مضمونها و المكان الذي كتبت فيه [1].

صورة نقش بخط الكوفي على محراب الجامع الكبير (الشكل 2)

[1] د.مباركبوطارن ،نفس المرجع السابق ،ص125،126

-الواجهة الجنوبية:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى محمد هذا ماأمر بعمله الأمير

-الواجهة الشرقية:

الأجل أبده الله و أعز نصره و أدام دولته.

-الواجهة الشمالية:

كان إتمامه على يد الفقيه الأجل القاضي أبي الحسن بن عبد الرحمن

-الواجهة الغربية:

إبن علي أدام الله عزهم في شهر جمادى الأخر عام530

-خصائص هذه الكتابة:

هذه الكتابة المنحوتة على الجبس تقع على الأوجه الأربعة من قبة المحراب الجامع الكبير تلمسان ،و الحروف التي كتبت بأسلوب أندلسي ليست محصورة في إطار و لا يتخللها تزويق يقيد صفاءها و تناسقها[1].

[1]كتاب صورة تلمسان في المحفوظات الفرنسية،دليل المعارض تلمسان 2011ص63،64

الكتابة المحيطة بالمستطيل:

بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد و على أله و سلم.

وقول سبحانه"وإذا قرئ القرءان فاستمعوا له و أنصتوالعلكم ترحمون .....و يسجدون له"[1]

الكتابة بداخل القوس:

صلى الله على محمدو أله وسلم مما أمر سادته أبو عبد الله محمد بن يحي بن أبي بكر إبراهيم أبذه الله و نصره ووفقه في المسجد الجامع تلمسان العليا حرمها الله و كان إتمامه في شهر رمضان المعظم عام 533

خصائص هذه الكتابة :

هاذان الكتابتان و حدتا على قطعة من الخشب بالجامع الكبير تلمسان تحيط بفتحة يظن أنها بالا المقصورة و جزؤها الأعلى له شكل قوس منفرج [2]

*نقش الخزانة:

أمر بعمل هذه الخزانة المباركة مولانا السلطان أبو حمو ولي الأمر الراشدين أيده الله و عز نصره و نفعه ،كما وصل ونوى و جعله من أهل التقوى وكان الفراغ في عملها في يوم الخميس الثالث عشر لذي القعدة عام 760تسعين و سبع مئة.

خصائص هذه الكتابة :

نقشت هذه الكتابة بالخط الكوفي على لوحة خشبية مثبتة على جدران القبلة تقيدنا بتاريخ إنشاء المكتبة و إسم السلطان الذي أمر بإنشائها [3].

---

[1]سورة الأعراف الأيات 204-205-206

[2]د بوطارن مبارك العمائر الدينية في المغرب الأوسط مؤسسة الكنوز الحكمة للنشر ،الجزائر 2011 ص128

[3]-د بوطارنطارك العمائر الدينية في المغرب الأوسط مؤسسة الكنوز الحكمة ،الجزائر 2011-ص130

ومن خلال هذا نلاحظ أن العناصر الزخرفية الخطية أو الكتابية زينت كل جانب من جوانب الجامع الكبير بتلمسان لما أعطاها المرابطين أيضا هي مكانة و كان لها دور أساسي في إعطاء الجامع تعريفا بكل مايوجد فيه.

الزخارف الهندسية:

إن المرابطين إهتموا بالزخارف النباتية إلا أن الزخارف الهندسية كان لها دور ثانوي عندهم ،إلا أنهم إستخدموا زخرفة هندسية بسيطة تحيط بتيجان الأعمدة.

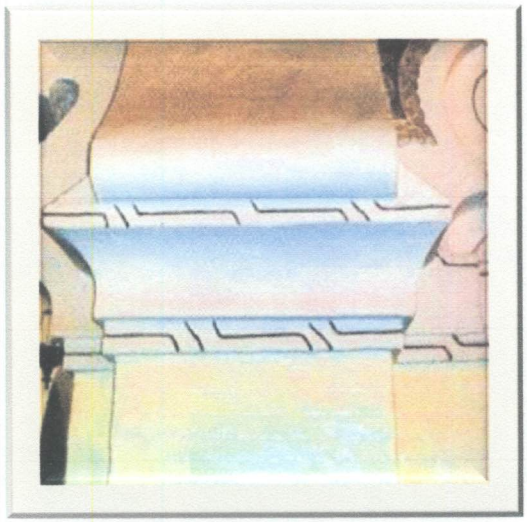

صورة بزخرفة هندسية بتيجان الأعمدة

وهناك زخرفة هندسية بسيطة و حدتها الأساسية المربع وتتوسطها النجمة التلمسانية ،كما هو موجود أيضا على أبواب مسجد سيدي لحسن و المدرسة التشفينية ،كما هناك زخارف هندسية تتكون من نصف نجمة ذات 24 تعلو أبواب صحن المسجد لتحضن الزجاج العادي و الملون و تسمح بدخول النور إلى قاعة الصلاة[1].

[1] الأستاذ عبد المالك موساوي،نفس المرجع السابق،ص 38،41

المبحث الرابع:الجماليات و الخصائص الفنيةالزخرفية في المسجد الجامع الكبير تلمسان

إن فن الزخرفة الإسلامية يدخل في شتى مظاهر حياتنا اليومية ،مثل الأبنية و قطع الأثاث و الأواني و الأزياء .....و بكل فن تزييني،فكل وحدة جمالية هي في حد ذاتها عالم متميز في الحياة و من المؤكد أن مجمل حضارات العالم قد عرفت الزخرفة الفنية عبرفنونها المختلفة ووظيفة الزخرفة الإسلامية في الجامع المسجد الكبير بدأت في تنمية خصائصها المعروفة مثل :التغطية الشاملة للحشوات و كثافة الجزئيات و تحوير الأشكال النباتية و التأليف بين التكوينات الهندسية و النباتية و كثافة المظهر السطحي اها دون أحجام بارزة لتتلاءم مع وظيفتها الأساسية المتمثلة في التغطية بالجماليات الفنية الزخرفية في الجامع لكون في المأذن ،الأعمدة و تيجانها –القباب-المقرصنات-النقوش و دقائق الزخارف ، و الكتابة والخط .

فقد رافق الزخرفة الإسلامية نوع من الخط العربي فامتازت بعض كتاباته الزخرفية بالخط الكوفي،وكذلك لإظهار قيمة جمالية فنية ما،كونها تستهدف الجمال بحد ذاته،حيث نجده متوفر في التكوين الزخرفي ،فمن خلال الزخرفة الإسلامية في المسجد الجامع تلمسان حاول الفنان أن يبين الذائقة الفنية بشكل روحي،فمن خلالها نستخلص الجوهر الذي جرد الأشياء [1]

المادية و حولها إلى رموز و مبدعات تأملية ،تعني الديمومة و الخلود،فالأشكال الهندسية التي تزين الجامع الكبير تلمسان و التي توجد على شكل وحدات زخرفية إسلامية ،توزعت على الجدران في الداخل و الخارج و الأعمدة و المأذنة و القبب ...إلخ،فمنها البسيط و منها المركب[2]

فشكل المسجد الكبير بتلمسان مثالا حيا على إستمرارية تأثير العمارة الأندلسية بفضل إبداعاته و رفعة زخارفه ،كل هذه المميزات تضعه ضمن روائع الإنجازات المعمارية الإسلامية فالنجوى و الهدوء و التأمل كلها ضروب من الجمال المعماري الزخرفي[3].

---

[1]Bargés.J.J.L.tlemcen .ancienne capital du royounne de ce nom .paris 1859

[2]مجلة جامعية بابل ،العلوم الإنسانية المجلد 17 العدد 2009،2م

[3]د حسين مؤنس،المساجد المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأداب الكويت285-287

فمعظم اساكيبه كانت مزينة بنقوش عليها زخرف نباتي.

فاشكال القبة الفنية من بيضوي ونصف كروي ...الخ زينت بزحارف متنوعة بالاضافة الى الاقواس والعقود،كل هذا لعبت فيه الزخرفة دورا اساسيا وهو التزيين الذي يعطي للمصلين الراحة و الطمانينة عند دخولهم المسجد .

فجاءت تحفته فنية رائعة،بما فيها الزخرفة القاعدية و الجدران،أدخلت على المسجد تعبيرات هامة في شكله ،ولا يزال ،أهل تلمسان خاصة و الجزائر عامة يتباهون بهندسته و زخرفته [1](فالمواد التي بني بها من خحارة و أجر و قرميد ذو اللون البني المائل إلى الحمرة و الوردي،هي مواد البناء المفصلة لأهل تلمسان [2]

كما كان في كل ركن من أركان المسجد الجامع جزء مزخرف يعكس خصوصية إسلامية،فوحداتها كانت منسقة و موزونة لكفل حفظ جمالها و بهائها ،فالزخرفة أضافت في المساجد مظهر تشاهده في الطبيعة و تتخذه وسيلة لتزين ماحولنا.

فتختلف الزخرفة الداخلية لمسجد سيدي بومدين عن زخرفة الجامع الكبير في \ان ال\اخير مزين في داخله بأعمدة مربعة قصيرة تعلوها أقواس على شكل نصف دائرة.... ولكن مايلفت النظر فيها زخرفتها.

لهذا كان السلطان يغمراسن يهتم بالتشييد والبناء والعمارة للمسجد الكبير بتلمسان ،وقد اضاف اليه مساحات و فضاءات اخرى دون ان يتظاهر او يتباهى بذلك،فهذه جمالية الزخرفة وما تركت في المساجد [3].

---

[1]عبد الرحمن إبنخلدون ،كتاب العبر و ديوان المبتدأو الخبر في تاريخ العرب و العجم و البربر ج7 بيروت 1971 ص161

[2]الحاج محمد بن رمضان شاوش باقة سوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بن زيان الجزائر 1995،ص22.

[3]يحيى بن خلدون ،بغية الرواد في ذكر من بني عبد الواد ،تحقيق:الفرد بال ،الجزائر،1913،ج1،ص207

خلاصة الفصل:

وأخيرا و بعد كل هذه التفصيلات عن المسجد الجامع الكبير بتلمسان نستنتج أن للمسجد

دورا هاما في حياة المسلمين ومزايا جمة يجهلها كثيرا من الناس ،فهو المدرسة الجامعة لكل معاني الحياة من المحراب للعبادة و منارة للعلم و المعرفة إلى دار للقضاء و الصلح بين الناس ،فالمسجد على مدار التاريخ ملاذ الحائرين و ملجا التائبين و أمال الباحثين عن الأمن و الإستقرار لقول تعالى "ألا بذكر الله تطمئن القلوب"

كما يبقى هذا المسجد العتيق و الكبير بمدينة تلمسان من المساجد الكبيرة في العالم الإسلامي و العربي ،والتى تبقى شاهدة على التاريخ الحضاري للمنطقة الضاربة في أعماق التاريخ.

فهو من بين المساجد الثلاثة المرابطية في الجزائر،مسجد الجزائر، مسجد ندرومة والمسجد الكبير و سمي بذلك لأنه ينتظم على شاكله الجوامع المرابطية الأخرى ،لم يكن التعليم في مدينة تلمسان مقصورا على المدارس و المعاهد فحسب ،بل كان له مجال أوسع من ذلك وهو المساجد التي كانت المقر القديم الأصلي للتعليم فقد قال إبن باديس رحمه الله"المسجد و التعليم صنوان في الإسلام من يوم ظهر الإسلام...فارتبط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصلاة ،ولهذه الحاجة مضى النبي (ص) على عمارة المسجد بهما .

كما نقول ان أن مدينة تلمسان هي ثاني مدينة من حيث الأهمية بعد وهران فخورة بماضيها المجيد و المزدهر ،ذات المعالم الأندلسية متأصلة في المغرب الإسلامي الكبير ،وصاحبة المواقع الطبيعية الخلابة ،هي مدينة الفن و التاريخ و بكثرة مافيها من المباني الفنية الرائعة الخالدة أو من بين ما يوجد في هذه المدينة التي بلغت ارفع مكانة في الجمال و الجلال و الكمال هي اماكن العبادة الا وهي المساجد.

فتلمسان مدينة إسلامية ،عرفت مراحل تطور كثيرة في خططها منذ نشأتها ،حتى عهد بني زيان الذين كان لهم الفضل في تخليد مأثرها وتوسع عمرانها ،وجعلها قاعدة لحكمهم فهي مدينة سهبة كبيرة وجميلة المنظر.

فهذه هي تلمسان موطن التاريخ، وملعب الزهور، ونزهة النفس،وأخيرا بلد المساجد.

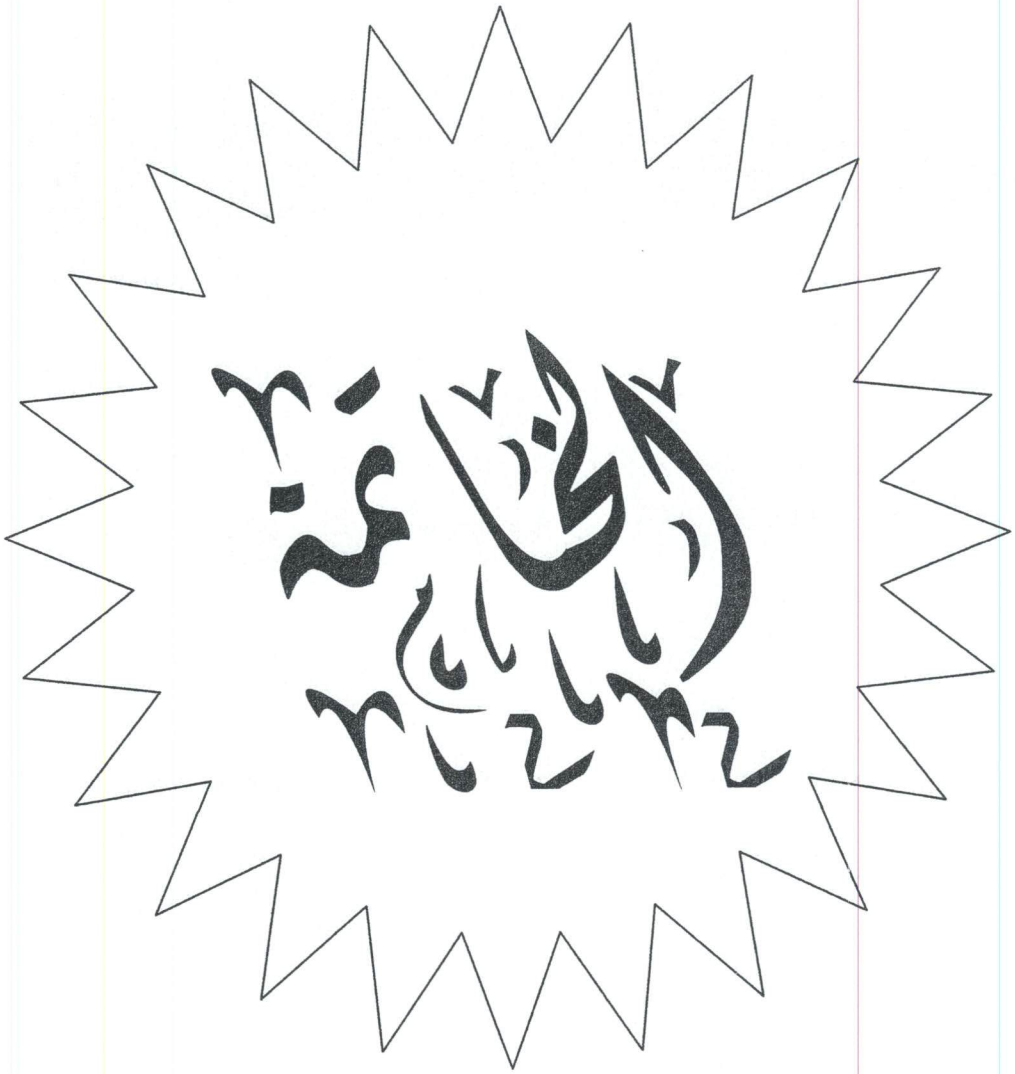
الخاتمة

الخاتمة:

الخاتمة:

املنا في نهاية دراستنا هذه ومن خلال عملنا المتواضع ان نكون قد ساهمنا ولو بالشيء القليل في ابراز دور الزخرفة الإسلامية في المساجد (الجامع الكبير تلمسان

فنستنتج مما سبق ان النظرة الى الفن الإسلامي ينبغي ان تكون من منطلقات إسلامية وعندها لن نقلل من شان الزخرفة ذلك الفن الذي جعل منه المسلمون فنا. فمن الملاحظ تميزه فما تكاد تذكر الزخرفة الا وتقرن بالفن الإسلامي، ولما تتميز به من ابداع واصالة، ومن الملاحظ أيضا تأثر الحضارات الأخرى بالزخرفة الإسلامية، وما هذا الا فخر واعتزاز بهذا الفن فالزخارف حيث وجدت فهي فن جميل لانطباق المواصفات عليها، وعلى هذا الأساس فقد يصبح النجار فنانا نقش الزخرفة على الخشب واخترع رسوما ونفذها عليه. ويعود تميز الفن الإسلامي انه يكون اطارا عاما واحدا تتنوع ضمنه اللغة الزخرفية تبعا لخصوصية الأقاليم.

فالفن الإسلامي استفاد من الفنون السابقة والمعاصرة له، واغنى مجال دخول الشعوب المختلفة في الإسلام بخبراتها السابقة فالشيء الذي ميزها هو اكتساب الفضاء المعماري وشعورا بالراحة لما تتمتع به هذه الزخارف الإسلامية من وحدة وتناسق وتقارب مع التعاليم الإسلامية .

ان تطور فن الزخرفة الإسلامية تدريجيا وتنوعه عبر فنون الحضارات ليصبح فنا يستخدم بسهولة ويسر على مختلف الأشياء يكون وباستخدام مختلف الأدوات والخامات، فهي تتيح كل من يراها التفكر والتأمل والتجول في ابداعات الفنان المسلم والتمتع بما انتجه من عناصر زخرفية جميلة.

فقد كان لها عظيم الأثر في ابراز المظهر الحضاري لنهضة المسلمين، فازدهرت بدرجة عالية سواء من حيث تصميمها واخراجها او من حيث موضوعاتها واساليبها، واستخدم التقنيون المسلمون خطوطا زخرفية رائعة المظهر والتكوين، وجعلوا من المجموعات الزخرفية نماذج انطلق فيها خيالهم الى غير النهائي والتكرار والتجدد والتناوب و التشابك، وابتكروا المضلعات النجمية واشكال التوريق واشكال التوشيح العربي (الارابيسك).

وتأتي أهمية الزخرفة الإسلامية في المساجد بانها العامل الهام في طبع عماد الدين بالطابع الفني المتميز.

الخاتمة:

وبعد اطلاعنا على فن الزخرفة الإسلامية وما لعبته في المساجد عامة وفي المسجد الكبير بتلمسان خاصة استخلصنا النتائج التالية:

01-ان الفنان المسلم أدى دورا مهما من خلال ابراز جمالية الزخرفة الإسلامية في المسجد الكبير بتلمسان،وذلك بالإتقان والمهارة مما ترك اثارا واضحة فيه اعتبرها كدليل لبقائها في المسجد .

02-وأيضا الفنان ساهم في ترك بصمة عالية في عمارة المسجد الكبير والارتقاء بالزخرفة الفنية بكل أنواعها.

03-كما ان الفنان جعل من هذا الفن الزخرفي بكل انواعه في المساجد ارث فني ابداعي لا مثيل له.

فنقترح ان في تلمسان معلم أثري به زخارف نحاول الحفاظ عليها بعمليات الصيانة والترميم المستمرة مع المحافظة على البناء العربي الإسلامي القديم والالتزام بتراثنا.

وفي الأخير ارجوا ان يكون بحثي محل اهتمام، وان يجد القارئ بعض ما يفيده، فما هو الا قطرة ماء في محيط يتطلب تظافر الجهود لمواصلة البحث من اجل معرفة أعمق.

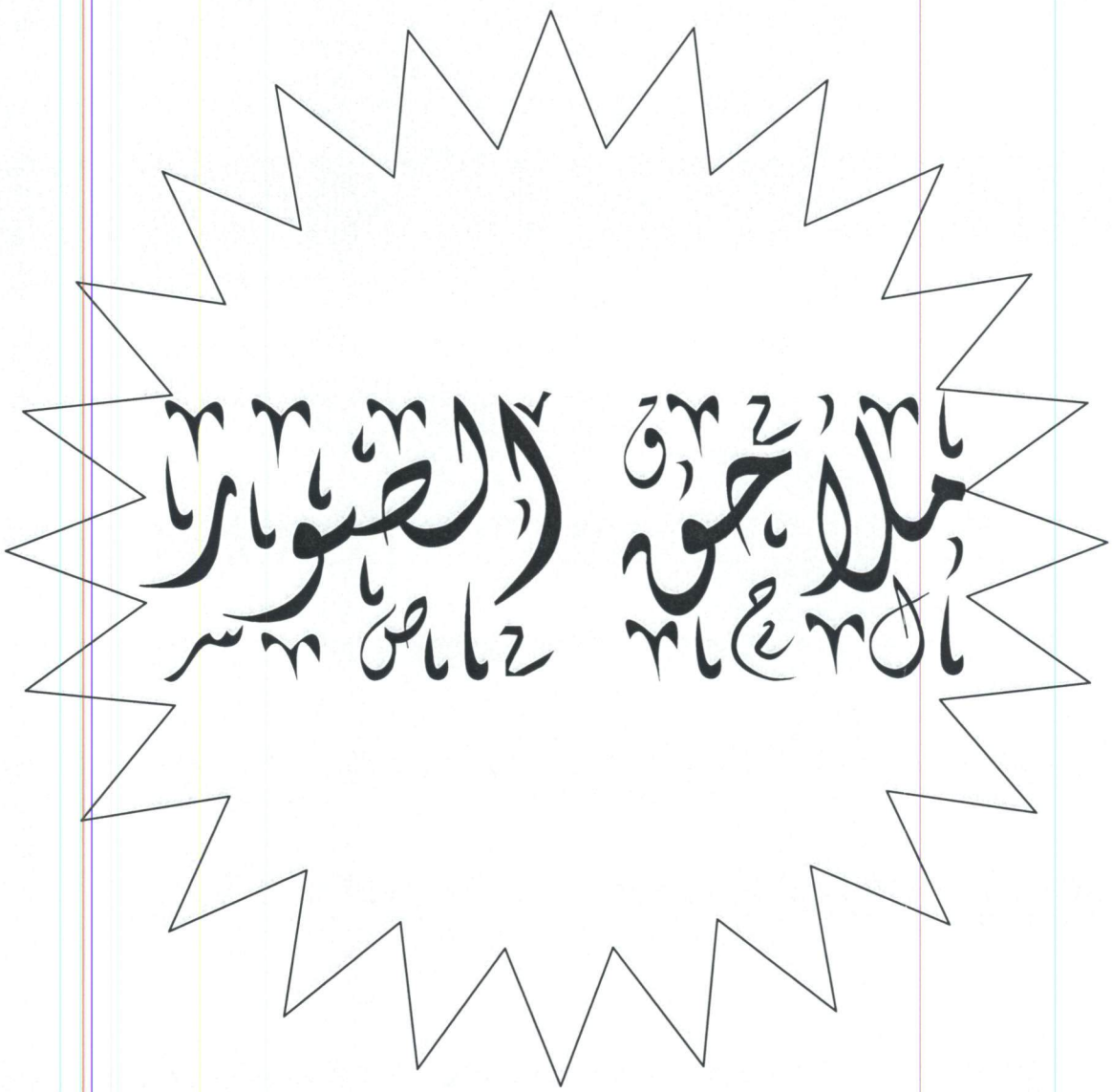
ملاحق الصور

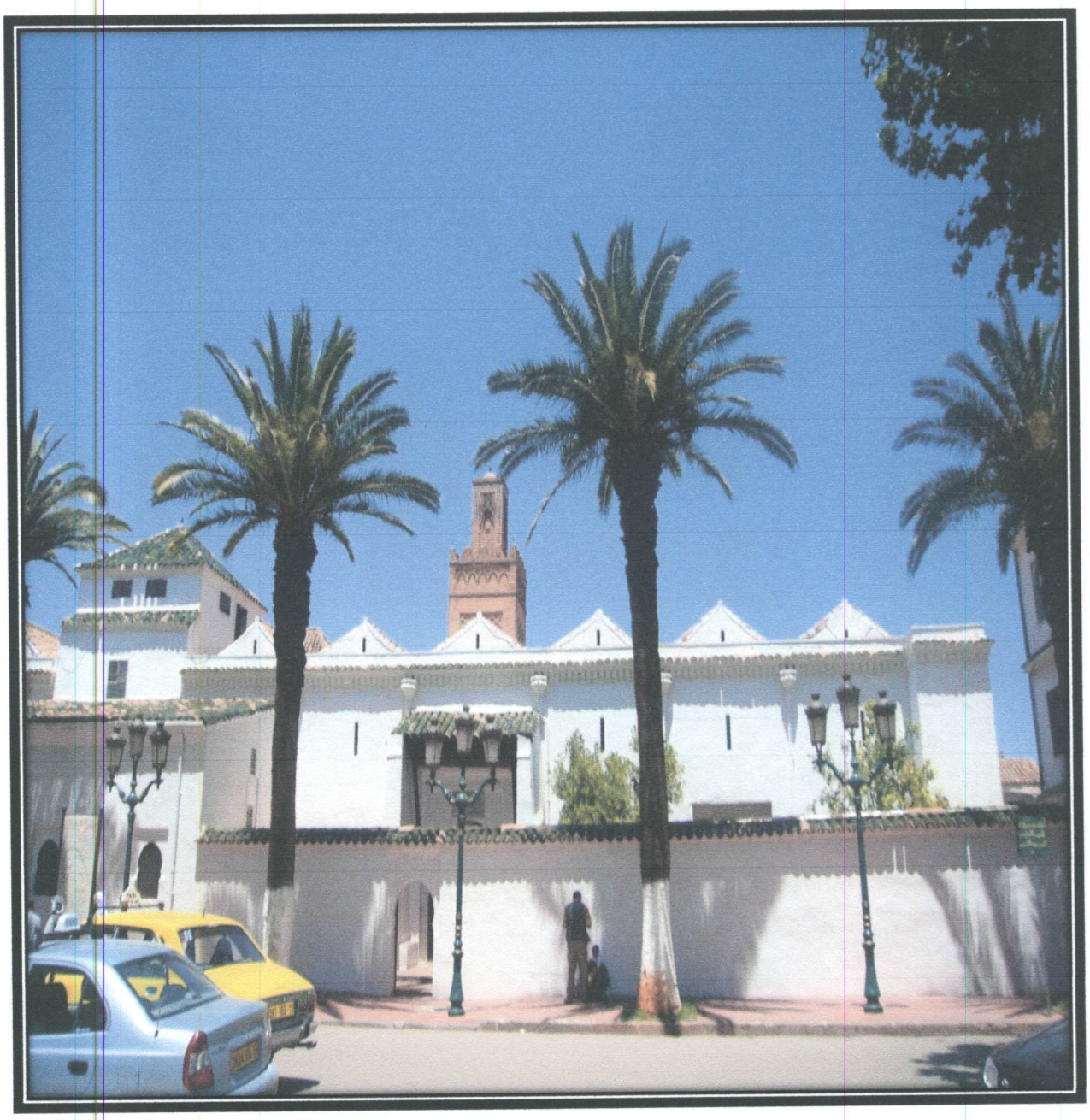

صورة 1-واجهة الجامع الكبير تلمسان

ويكيبيديا الموسوعة الحرة

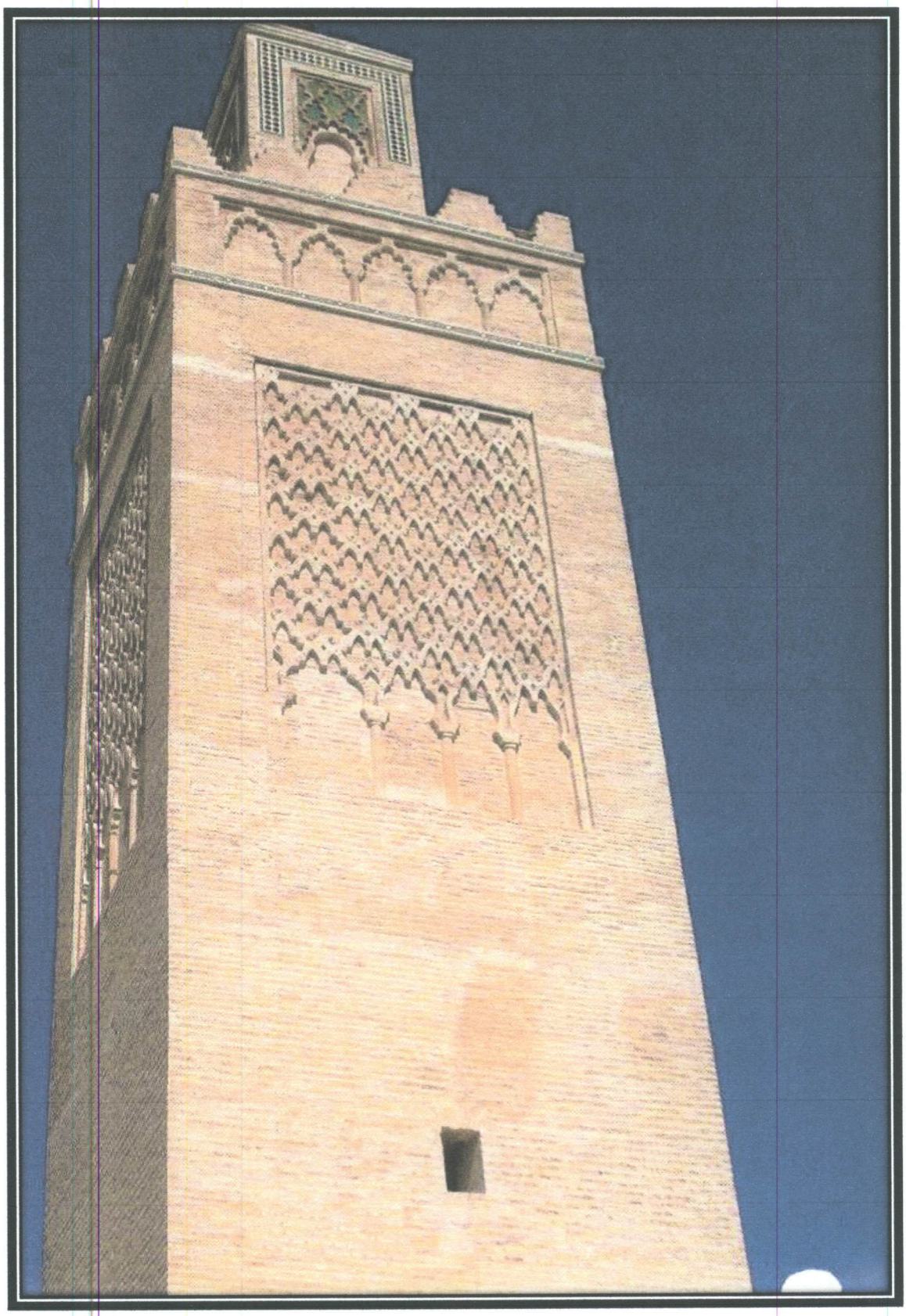

الصورة3-مأذنة الجامع لكبير بتلمسان

من كتاب فن الزخرفة الإسلامية بتلمسان(المدارس و المساجد) لعبد المالك عيساوي ص23

الصورة4-قاعة صلاة المسجد الكبير تلمسان

ويكيبيديا الموسوعة الحرة

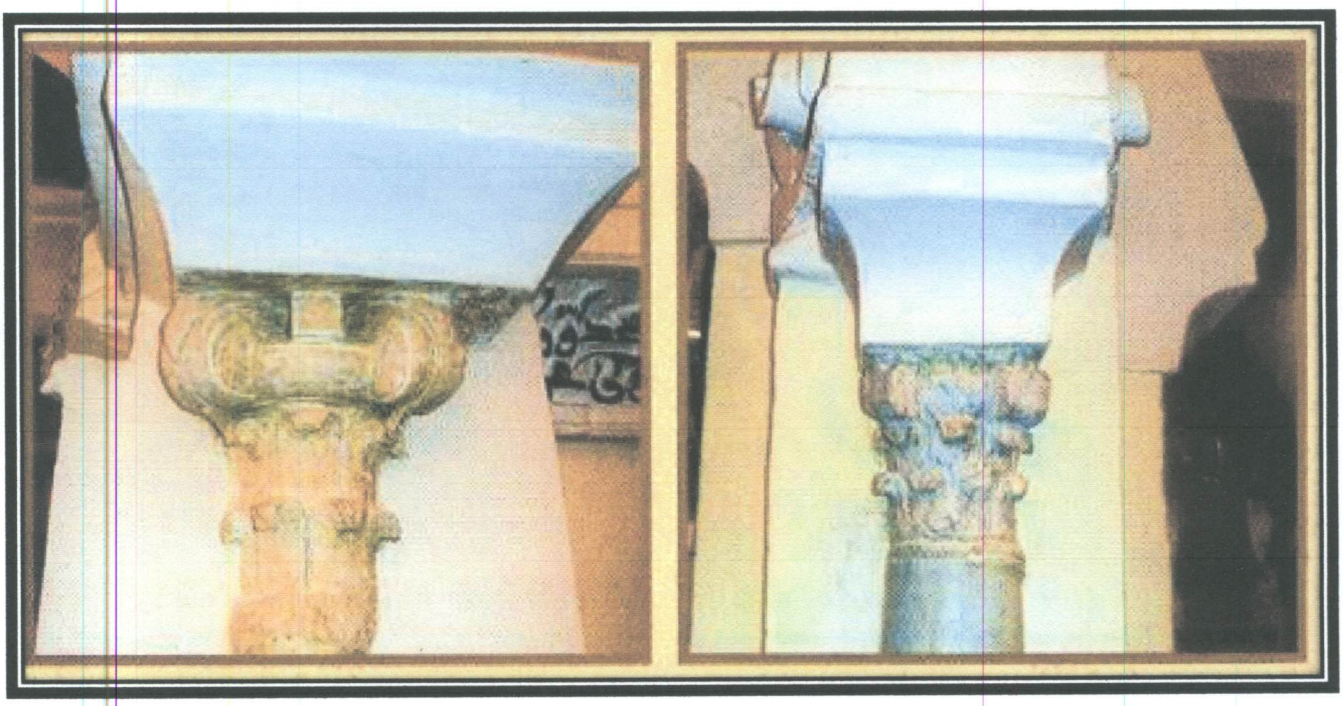

الصورة5-أنواع الأعمدة وتيجانها المتواجدة بالمسجد الكبير بتلمسان

من كتاب فن الزخرفة الإسلامية بتلمسان(المدارس و المساجد) لعبد المالك عيساوي ص39

الصورة6-زخارف هندسية تتكون من نصف نجمة تعلو أبواب الصحن لتحضن الزجاج العادي و الملون تسمح بدخول الضوء

من كتاب فن الزخرفة الإسلامية بتلمسان(المدارس و المساجد) لعبد المالك عيساوي ص41

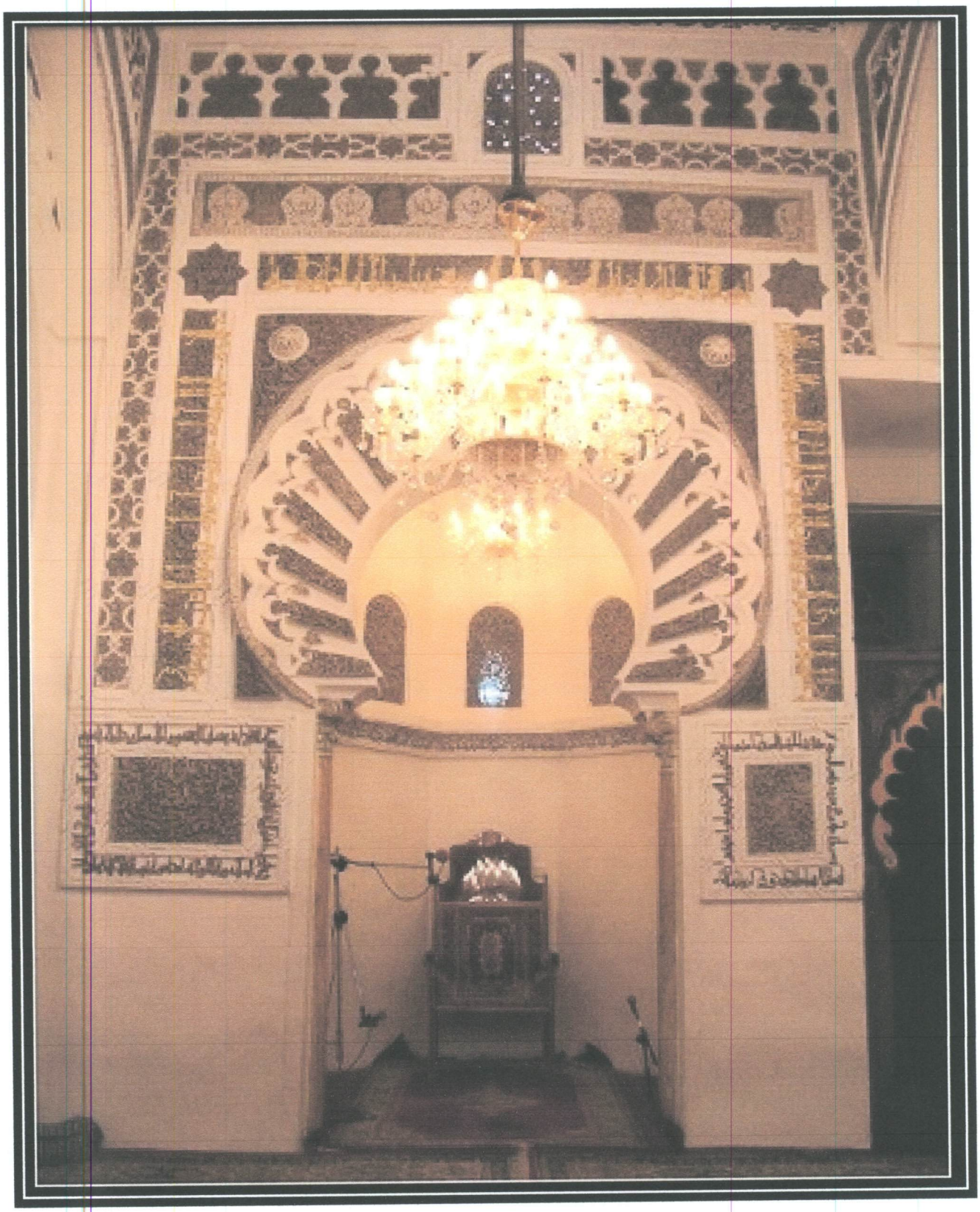

الصورة7- محراب الجامع الكبير

ويكيبيديا الموسوعة الحرة

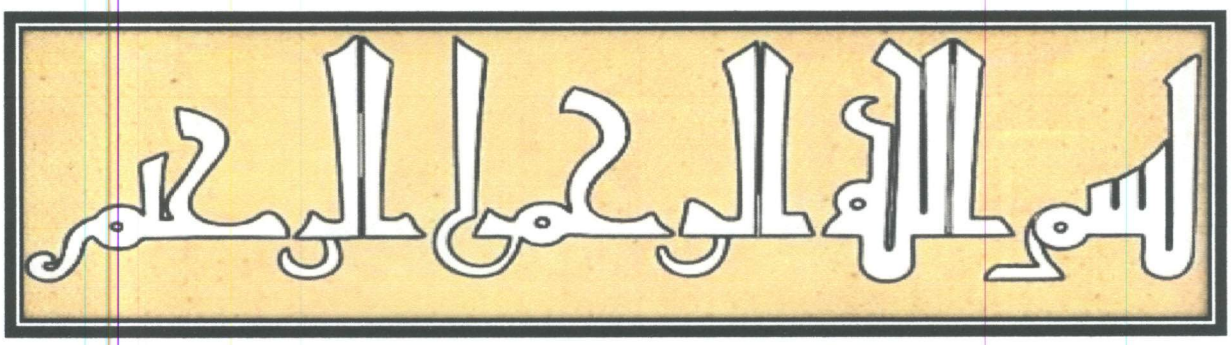

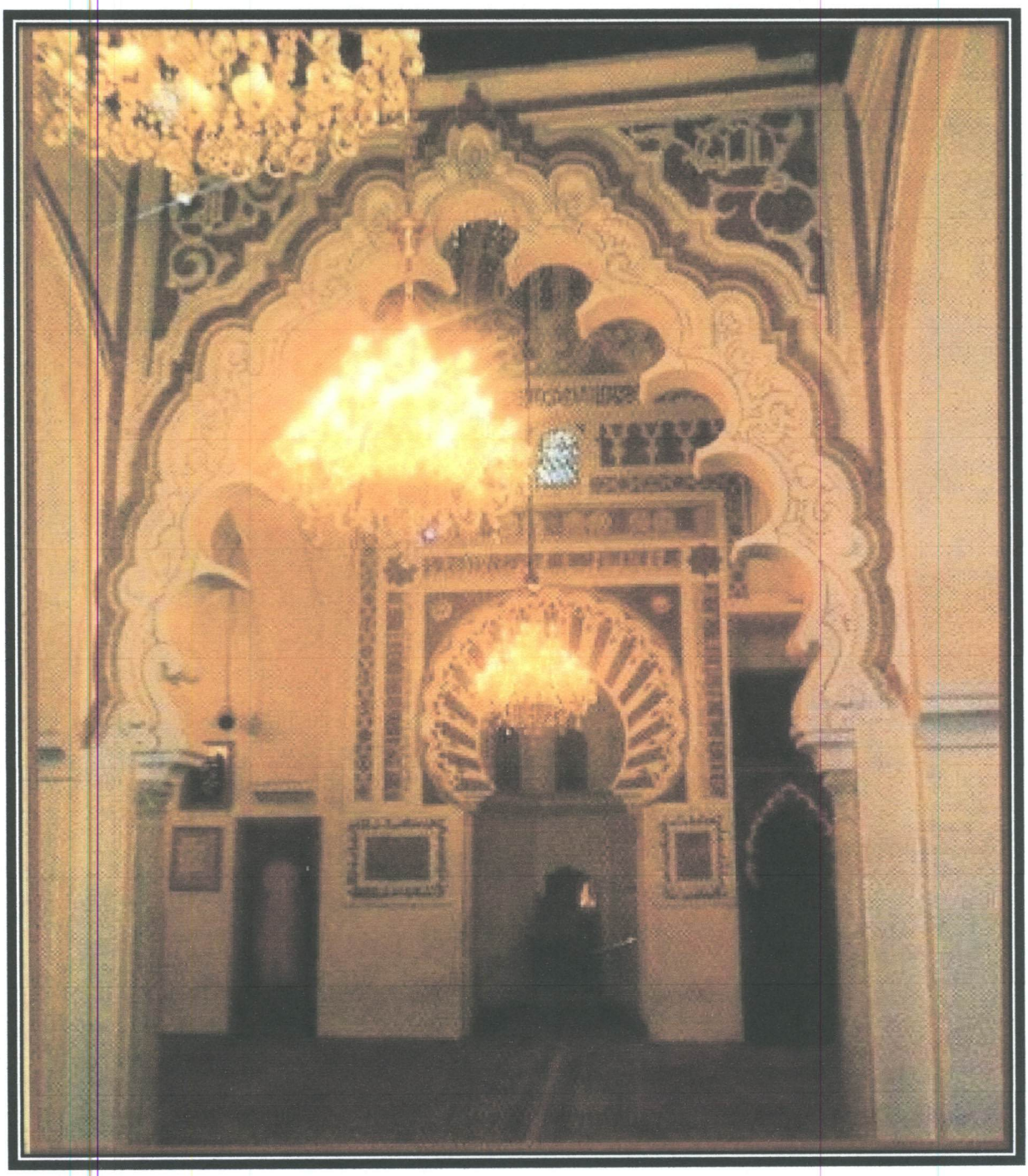

الصورة8-كتابة تعلو المحراب

من كتاب فن الزخرفة الإسلامية بتلمسان(المدارس و المساجد) لعبد المالك عيساوي ص

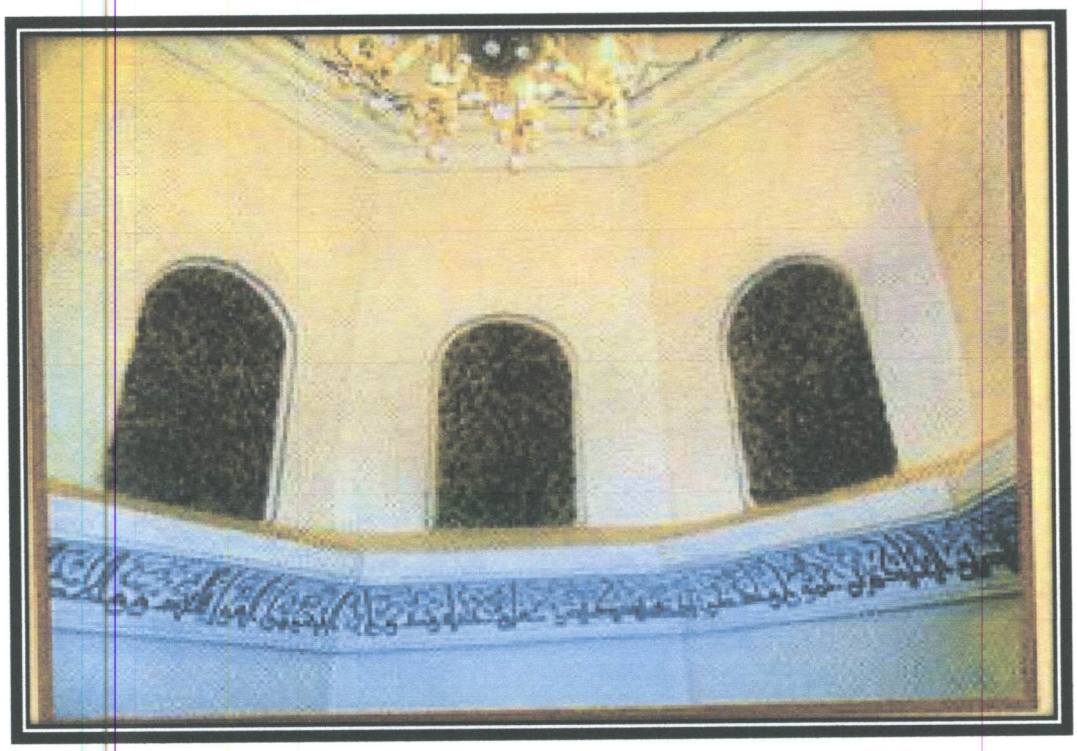

الصورة9-ثلاث شمسيات تزين محراب المسجد

من كتاب فن الزخرفة الإسلامية بتلمسان(المدارس و المساجد) لعبد المالك عيساوي ص30

قائمة المصادر و المراجع

01.القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

01.أميرة حلمي، فلسفة الجمال، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة، القاهرة،1962

02.إياد الصقر ،الفنون الإسلامية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان،2003

03.أحمد فكري، فن العمارة والتحف الفنية، مركز المطبوعات اليونسكو ،القاهرة ، 2000 .

04.براهمي نصر الدين، تلمسان الذاكرة ،منشورات تالة الابيار ،الجزائر ،ط2،

05.جورج مارسي و وليام ،المعالم الأثرية لمدينة تلمسان ،تر: مراد بلعيد و علي محمد ،دار الأصالة لنشر و التوزيع،ط1، 2010.

06.جورج مارسي ،مدن الفن الشهيرة ،دار النشر تلمسان.ج2، 1950.

07. حسن مؤنس، المساجد، المجلس الوطني و الفنون والاداب،الكويت،1978

08.خالد بن صالح المونع ،من احكام وفضائل المساجد ،هالة للنشر و التوزيع ،القاهرة،2001

09.خالد حسين ،الزخرفة في الفنون الإسلامية، مطبعة أوفيست،الوسام،بغداد،1983.

.شاكر حسن السعيد ،الأصول الحضارية والجمالية للخط العربي، دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،ط1، 1988

10.عبد العزيز حميد، الفنون الزخرفية ،المكتبة العامة،بغداد،ط1 ،1982

11.عبد العزيز سالم، حاضرة الخلافة في الأندلس دار النشر التل قرطبة ،الجزائر (البليدة.(

12.عبد العزيز فراح ،كتاب تلمسان المدينة المحراب ،تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية،2011.

13.عبد الله الدرايسة ومحمد عبد الهادي عدلي،الزخرفة الإسلامية ، مكتبة المجتمع العربي،عمان،ط1 ،2008.

13.عبد مالك عيساوي ،فن الزخرفة في العمارة الإسلامية بتلمسان(المساجد و المدارس(،دار السبيل،تلمسان،ط1، 2011.

14.عفيف البهنسي ،جمالية الفن العربي، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب،1979

15.فداء حسين أبو دبسة ،الزخرفة الإسلامية ،مكتبة المجتمع العربي للنشر ،عمان ط1، 2009

16.مبارك بوطارن ،العمائر الدينية في المغرب الأوسط، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011

17.محمد الرازي بن ابي بكر بن عبد القادر ،مختار الصحاح، دار الرسالة،الكويت،1982

18.محمد حامد جاد ،قواعد الزخرفة ،مكتبة المعرفة الجامعية،عمان،1986.

19.محمد رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بن زيان ،الجزائر، . 1995

20.صالح الالفي ،الفن الإسلامي، دار المعارف،لبنان،ط1 ،1982.

21.عبد اللطيف سلمان ،تاريخ الفن والتصميم، هالة للنشر،القاهرة،ط1، 2000 .

22.محمد عبد العزيز مرزوق ،الفنون العثمانية، الهيئة العامة للكتاب،1988.

23.محمد عبد العزيز مرزوق ،الفنون الزخرفية الاسلامية في المغرب و الأندلس، دار النشر القاهرة، 2003

24.محي الدين طالو، المشهور من فنون الزخرفة عبر العصور ،دار النشر،القاهرة،ط1 ، 2003

25.نصر الدين طيب،تاريخ الفن من العصر الحجري الى العصر، ط1، 2008

26.وجدان علي ،التعريف بالفن الإسلامي ،دار البشير،عمان،1908

الموسوعات:

01.حسن باشا ،موسوعة العمارة و الفنون الإسلامية، دار المصرية العامة ،القاهرة، 1987.

02.عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية ،جورس بيرس ،بيروت، لبنان ،ط1، 1988.

المجلات:

01.عبد العزيز سالم ،روائع الآثار الإسلامية بالجمهورية الجزائر ،مجلة المحلة،العدد19، 1959.

02.مجلة جامعة بابل ،العلوم الإنسانية، المجلد 17، 2009.

المواقع الإلكترونية:

01.الموقع الثقافي ،جامعة تكريت http:// tu,edu ,iq /culture

02.ويكيبيديا الموسوعة الحرة للصور و التصوير.

المراجع باللغة الأجنبية:

01.Bargés-j.j.l.telmcen ancienne capital du rogommes ce nom,paris,1959.

02.Marcais (cr) ,architecteur musulmanes d'accident.

الفهرس	الصفحة
الدعاء	
الإهداء	
كلمة شكر	
المقدمة	-أ-
المدخل	-01-
الفصل الأول:الزخرفة الإسلامية في المساجد	-04-
تمهيد	-04-
المبحث الأول :تعريف الزخرفة الإسلامية	-05-
المبحث الثاني :نشوء الزخرفة الإسلامية عبر العصور	-07-
المبحث الثالث :أنواع الزخرفة الإسلامية	-10-
المبحث الرابع: قواعد الزخرفة الإسلامية	-17-
المبحث الخامس :خصائص الزخرفة الإسلامية	-25-
المبحث السادس :الزخرفة الإسلامية في المساجد	-27-
خلاصة الفصل الأول	-30-
الفصل الثاني: دراسة ميدانية للجامع الكبير بتلمسان	-31-
تمهيد	-31-
المبحث الأول :نبذة تاريخية عن المسجد الكبير تلمسان	-32-
المبحث الثاني :النظام التخطيطي للجامع الكبير تلمسان	-35-
المبحث الثالث :أنواع العناصر الزخرفية بالجامع الكبير تلمسان	-40-
المبحث الرابع :لجماليات الفنية الزخرفية للجامع الكبير تلمسان	-48-
خلاصة الفصل	-50-
الخاتمة	-51-
ملحق الصور	-53-
قائمة المصادر و المراجع	-62-
الفهرس	-65-

الملخص:

ان للفن الإسلامي وحضارته دور كبير في حياة الشعوب ومن بين أنواعه فن العمارة الإسلامية الذي كان قائما في كل البلدان فهي تختلف عن بقية الأمم الأخرى في عمارتها ،ومن أنواعها نذكر عمارة المساجد في الجزائر وبالتحديد في منطقة تلمسان المسجد الكبير فهو من اكثر الأماكن التي يهتم بها المسلم واقامته المولد الأساسي لفن العمارة الإسلامية ،اما الزخرفة الاسلامية التي توجد فيه فكانت خير معبر والبوابة الواسعة للفن المعماري الإسلامي وصارت من أهم الخصوصيات الجمالية بعد ان برزت في هذا الفن وتطورت تقنياته على مر العصور بهذه المدينة تلمسان.

Résumé

L'art et la civilisation islamiques un grand rôle dans la vie des gens Parmi les types de l'architecture islamique qui existaient dans tous les pays sont différents du reste des autres nations de l'architecture, et les types rappellent l'architecture des mosquées en Algérie, en particulier dans la grande région de Tlemcen de la mosquée est l'une des la plupart des lieux d'intérêt à décoration musulmane et son générateur principal de l'architecture islamique, soit islamique qu'il y avait une bonne porte de passage et large art architectural islamique et devenir l'un des plus important esthétique de la vie privée qui ont émergé après dans cet art et les techniques ont évolué au fil des siècles dans cette ville de Tlemcen.

Abstract

The Islamic art and civilization a big role in people's lives Among the types of Islamic architecture that existed in all countries are different from the rest of the other nations in the architecture, and types remind architecture of mosques in Algeria, specifically in the large Tlemcen area of the mosque is one of the most places of interest to Muslim and his Alosasa born of Islamic architecture, either Islamic decoration that there was a good crossing gate and broad Islamic architectural art and become one of the most important privacy aesthetic that emerged after in this art and techniques have evolved over the centuries in this city of Tlemcen.